تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران

للشيخ
حمود بن عبدالله التويجري
رحمه الله تعالى

بسم لله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـــذي منّ على أوليائه بالتأييد والإســـعاد ، وقضى على أعدائه بالخـــذلان والإبعـــاد ، ونهى عبـــاده عن التقـــرب إليهم بالموالاة والـوداد ، وشـدد في ذلك وأبـدى فيه وأعاد ، أحمده تعالى على نعمه التي لا يحصى لها تعداد ، وأشـكره وكلما شـكر زاد ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك له شـــهادة أدّخرها ليوم التنـاد ، وأشـهد أن محمـدا عبـده ورســوله صــفوة العبــاد ، أرســله الله رحمة للعــالمين وحجة على أهل الشــقاق والعنــاد ، فبلغ الرســالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وبــالغ في البيــان والإرشــاد ، اللهم صل على عبـدك ورســولك محمد وعلى آله وأصــحابه الــبررة الأمجاد ، الذين جاهـدوا في الله حـق الجهـاد ، وصــارموا أعـداء الله وجالــدوهم غاية الجلاد ، حـــتى ملأ الإســـلام مشـــارق الأرض ومغاربها رباها والوهـاد ، وعلى من تبعهم بإحســان من حاضر وباد ، وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد :

فهذه نبذة وجيزة في بيان تحريم مـــوالاة أعـداء الله من المرتـدين والمنـافقين واليهـود

والنصــارى والمجــوس وغــيرهم من أصــناف المشركين ، والتحذير من مــوادتهم وتعظيمهم وبـداءتهم بالسـلام ، وتقـديمهم في المجـالس وغـــير ذلك مما فيه تعظيم لهـم ، بـــالقول أو بالفعل .

دعـــاني إلى جمعها ما وقع فيه كثـــير من المســـلمين في زماننا من تعظيم أعـــداء الله تعـالى ومــوادتهم واتبــاع ســننهم حــذو النعل بالنعل ، والمقصـــــــود من ذلك النصـــــــيحة للمسلمين وتحـذيرهم من سـوء عاقبة التـذلل لأعداء الله تعالى وموالاتهم وموادتهم .

والله المسـؤول أن يصـلح حـالي وأحـوال المســـــــــلمين ، وأن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى من الأقـــوال والأعمـــال ، وأن يجنبنا طريق أهل الغي والضلال ، إنه قريب مجيب .

فصـل

وقد نهى الله سبحانه وتعـالى عن مـوالاة أعدائه في مواضع كثـيرة من القـرآن ، وأخـبر أن موالاتهم تنافي الإيمـان بالله وكتبه ورسـله واليـوم الآخر وأنها سـبب للفتنة والفسـاد في الأرض ، وأن من والاهم ووادهم فليس من الله في شيء وأنه من الظالمين الضـالين عن سـواء السـبيل ، وأنه مسـتوجب لسـخط الله وأليم عقابه في الآخـــرة ، والآيـــات في هـــذا كثيرة .

الأولى منها : قـــول الله تعـــالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعـدوكم أوليـاء تلقـون إليهم بالمـــودة وقد كفروا بما جـاءكم من الحق } إلى قوله تعـالى : { تسـرون إليهم بـالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سـواء السـبيل } ثم حث تبـارك وتعـالى عبـاده المؤمـنين على متابعة خليله إبـراهيم والتأسي به وبمن آمن معه في مصـــارمتهم لأعداء الله تعالى والتـبري منهم ومما يعبـدون من دون الله تعـــالى وإظهـــار العـــداوة لهم

والبغضاء ما داموا على الكفر بالله ، فقال الله تعالى : { قد كانت لكم أسوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معه إذ قـالوا لقـومهم إنّا بـرءاء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننـا وبينكم العداوة والبغضـاء أبـدا حـتى تؤمنـوا بالله وحـده } ومن لم يتأسى بـإبراهيم الخليل عليه الصـلاة والسلام في مصارمة أعداء الله تعالى وإظهار العـداوة والبغضـاء لهم ، فله من سـفه النفس بقـدر ما تـرك من ملة إبـراهيم الخليل ، كما قال تعالى : { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه } .

الآية الثانية : قوله تعالى : { إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظـاهروا على إخـراجكم أن تولـوهم ومن يتـولهم فأولئك هم الظالمون } .

الآية الثالثة : قوله تعـالى : { يا أيهـا الـذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسـوا من الآخـرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور } .

الآية الرابعة : قوله تعـالى : { يا أيهـا الـذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض } ثم حـذر تبـارك وتعـالى من مـوالاتهم

بـــأبلغ التحـــذير وتوعد على ذلك بأشد الوعيد فقال تعالى : { ومن يتولـهم منكم فإنّـه منهم إن الله لا يهدي القـــوم الظـالميـــن } قـــال بعض المفسرين : فيه زجر شديد عن إظهار صــورة الموالاة لهم وإن لم تكن موالاة في الحقيقة .

قلت : وأقل الأحـــوال في هـــذه الآية أنها تقضي تحريم موالاة أعداء الله تعالى وإن كان ظاهرها يقتضي كفر من تــولاهم ، ولهـذا روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قـــــــال : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر وتلا هذه الآية . وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قـال : قـال عبدالله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية .

وروى الإمام أحمد بإسناد صــحيح عن أبي موسى الأشــعري رضي الله عنه قــال : قلت لعمر رضي الله عنه إن لي كاتبا نصـرانيا قـال : مالك قاتلك الله أما ســـمعت الله يقــــول : { ياأيها الــذين آمنــوا لا تتخــذوا اليهــود والنصــارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض } ألا اتخـذت حنيفا . قــال : قلت يا أمــير المؤمــنين لي كتابته وله

دينه . قـــال : لا أكـــرمهم إذا أهـــانهم الله ولا أعـــزهم إذا أذلهم الله ولا أدنيهم إذا أقصـــاهم الله .

وورد على عمر رضي الله عنه كتـــــــاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : أما بعد يا أمير المؤمنين فـإن في عملي كاتبا نصـرانيا لا يتم أمر الخراج إلا به فكرهت أن أقلده دون أمـرك . فكتب إليه : عافانا الله وإيـاك قـرأت كتابك في أمر النصـــــراني ، أما بعد فـــــإن النصـراني قد مـات ، والسـلام . يعـني يقـدر موت هذا النصراني فما كان معاوية صانعا بعد موته فليصنعه الآن ، وهـذا أمر من عمر رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه بإبعـــــــــاد النصـراني وتولية غـيره من المسـلمين مكانه من غير مراجعة وإخبار له بأن المســلمين في غنية عن أعـــداء الله ولو كـــانوا في الحـــذق والضبط ما كانوا .

وفي قـــول عمر رضي الله عنه دليل على أنه لا يجوز للمسـلمين أن يولـوا في أعمـالهم أحدا من أعداء الله تعـالى لأن في ذلك إكراما

لهم وإعزازا وإدنـاءا وهو خلاف ما شـرعه الله من إهانتهم وإذلالهم وإقصائهم .

ثم قال تعـالى : { فـترى الـذين في قلـوبهم مـرض يسـارعون فيهم يقولـون نخشى أن تصـيبنا دائــرة } قــال ابن كثــير رحمه الله تعــالى : { فترى الذين في قلوبهم مرض } أي شك وريب ونفــاق { يســارعون فيهم } أي يبــادرون في مــولاتهم ومــودتهم في البــاطن والظــاهر { يقولـون نخشى أن تصـيبنا دائـرة } أي يتأولون في مـودتهم ومـوالاتهم أنهم يخشـون أن يقع أمر من ظفر الكفـار بالمسـلمين فتكـون لهم أيـاد عند اليهـود والنصـارى فينفعهم ذلك عند ذلك ، قـال الله تعـالى : { فعسى الله أن يـأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين } .

الآية الخامسة : قوله تعـالى : { ياأيها الـذين آمنوا لا تتخذوا الـذين اتخـذوا دينكم هـزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقــوا الله إن كنتم مؤمنين } وهذا نهي من الله تبـارك وتعــالى عن مــوالاة أعدائه من أهل الكتــابين وغيرهم من سـائر الكفـار وإخبـارا منه تعـالى

بـأن موالاتهـم تنـافي الإيمـــان ، ولهـذا قـال تعالى : { واتقوا الله إن كنتم مؤمـنين } قـال أبو جعفر بن جرير في تفســـير هـــــذه الآية : لا تتخذوهم أيها المؤمنون أنصارا وإخوانا وحلفـاء فإنهم لا يألونكم خبالا وإن أظهـروا لكم مـودة وصداقة اهـ .

الآية السادسة : قوله تعالى : { ياأيها الـــذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أوليـاء من دون المؤمـنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سـلطانا مبينا } قـال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفســيره : ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكـافرين أوليــاء من دون المؤمــنين يعــني مصــاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المــودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم , وقوله : { أتريـدون أن تجعلـوا لله عليكم سـلطانا مبينا } أي حجة عليكم في عقوبته إياكم اهـ .

وقـــــال أبو جعفر بن جرير يقـــــول : لا تعرّضـــوا لغضب الله بإيجـــابكم الحجة على أنفسـكم في تقدمكم على ما نهـاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهل الكفر به اهـ .

الآية الســـــابعة : قوله تعـــــالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أوليـاء من دون المؤمـنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شـيء } وهـذا زجر بليغ وتهديد شديد عن موالاة أعداء الله تعـالى ومـــوادتهم ، فينبغي للمســـلم أن يحـــذر أشد الحذر من أن يكـون من الـذين يحسـبون أنهم على شـيء وهو من الخاسـرين الـذين ليسـوا من الله في شـــيء عيـاذا بالله من موجبـــات غضـبه وأليم عقابه . قـال المنـاوي في شـرح الجـــامع الصـــغير : الإقبـــال على عـــدو الله وموالاته تـوجب إعراضه عن الله ومن أعـرض عنه تولاه الشيطان ونقله إلى الكفر اهـ . قال الزمخشـري : وهـذا أمر معقـول فـإن مـوالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان اهـ .

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث في الكافية الشافية يقول :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في إمكان

وكذا تعادي جاهدا أحبابه أين المحبة يا أخا الشيطان

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس الفعل منك بمستوي

وقال غيره :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك* عنك بعازب

ثم قال تبارك وتعالى : { إلا أن تتقــوا منهم تقــاة } قــال البغــوي رحمه الله تعــالى في تفســـيره معـــنى الآية : أن الله تعـــالى نهى المؤمـــنين عن مـــوالاة الكفـــار ومـــداهنتهم ومبـــاطنتهم ، إلا أن يكـــون الكفـــار غـــالبين ظـاهرين ، أو يكـون المـؤمن في قـوم كفـار يخـــافهم فيـــداريهم باللســـان وقلبه مطمئن بالإيمـان دفعا عن نفسه من غـير أن يسـتحل دما حراما أو مـالا حراما أو يظهر الكفـار على عـــورة المســـلمين . والتقية لا تكـــون إلاّ مع خوف القتل وسلامة النية ، قال الله تعالى : {

---

* النوك : بضم النون وفتحها وهو الحمق .

إلاّ من أكـــره وقلبه مطمئن بالإيمـــان } ثم هـــذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم اهـ .
وروى أبو نعيم في الحلية عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قيل له ما التقاة ؟ ، قال : أن يخاف جبارا عنيـدا أن يفـرط عليه أو أن يطغى .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى معلـوم : أن التقاة ليست بمـوالاة ولكن لما نهـاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم ، والـبراءة منهم ، ومجـاهرتهم بالعـدوان في كل حـال إلا إذا خافوا من شرهم فأبــاح لهم التقية وليست التقية موالاة لهم اهـ .

وقوله : (ويحذركم الله نفسه) أي يخوفكم الله عقوبته على موالاة أعدائه وارتكـاب نهيـه ومخالفة أمره . قـال أبو جعفر بن جرير يعـني بذلك متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أوليــاء من دون المؤمنين نالكم من عقاب ربكم مــالا قبل لكم به يقول فـاتقوه واحـذروه أن ينـالكم ذلك منه فإنه شديد العقاب اهـ .

الآية الثامنة : قوله تعــالى : { ياأيها الـــذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أوليـاء إن اسـتحبوا الكفر على الإيمــان ومن يتــولهم منكم فأولئك هم الظالمون } وهذا أمر من الله تعالى بمصــارمة أعدائه ولو كانوا أقـرب قـريب كالآبـاء والأبنـاء والإخوان والعشيرة ، وفي النص على الأقارب دليل على أن مصارمة من سواهم من الكفــار مطلوبة بطريق الأولى والأحرى .

الآية التاسـعة : قوله تعـالى : { لا تجد قوما يؤمنــون بالله واليــوم الآخر يــوادون من حــاد الله ورسوله ولو كانوا آبـاءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشــيرتهم } قــال البغــوي رحمه الله تعــالى : أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بمــوادة الكفــار وأنّ من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وإن كــان من عشــيرته اهـــ . وقــال شــيخ الإســلام أبو العبــاس ابن تيمية رحمه الله تعــالى : أخـــبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مـؤمن يـواد كـافرا فمن واد الكفار فليس بمؤمن اهـ .

ثم أثــني الله تبـارك وتعـالى على الــذين يصــارمون أعــداءه ويتقربــون إليه ببغضــهم ومبـــايبنتهم وأثبت لهم الإيمــــان والتأييد منه

ووعدهم الثواب الجزيل في الـدار الآخـرة مـع الرضى عنهم فقــال تعــالى : { أولئك كتب في قلـوبهم الإيمـان وأيـدهم بـروح منه ويـدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضـوا عنه أولئك حـزب الله ألا إن حـزب الله هم المفلحون } وقد أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية ما رواه نعيم بن حمــاد حــدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قـال رسـول الله : (اللهم لا تجعل لفـــــاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فيـودّه قلـبي فـإني وجـدت فيما أوحيته إليَّ : { لا تجد قوما يؤمنـــــون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله }) .

الآية العاشـرة : قوله تعـالى : { تـرى كثـيرا منهم يتولـون الـذين كفـروا لـبئس ما قـدمت لهم أنفســهم أن ســخط الله عليهم وفي العــذاب هم خالدون . ولو كـانوا يؤمنـون بالله والنـبي وما أنـزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون } وهذا إخبـار من الله تبـارك تعـالى بـأن مـوالاة الكفـار تنـافي الإيمـان بالله ورسـوله وكتابه ، وتوجب سخط الله وأليم عقابه ، وفي هذا أبلغ زجر وتحذير من موالاتهم وموادتهم .

قـال شـيخ الإسـلام أبو العبـاس ابن تيمية رحمه الله تعــالى : بيّن ســبحانه وتعــالى أن الإيمـان بالله والنـبي وما أنــزل إليه مسـتلزم لعـــدم ولايتهم فثبــوت ولايتهم يــوجب عـــدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عـدم الملـزوم اهـ .

الآية الحادية عشــرة : قوله تعــالى : { بشر المنــافقين بــأن لهم عــذابا أليما الــذين يتخــذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغـون عنـدهم العـزة فـإن العـزة لله جميعا } وروى عبدالله بن الإمــــام أحمد في زوائد الزهد عن ســـعيد بن المســيب قــال : ســمعت عمر بن الخطــاب رضي الله عنه يقــول : ســمعت رســول الله ﷺ يقول : (من اعتز بالعبد أذله الله) .

الآيـة الثانية عشرة : قوله تعالى : { ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً فلا تتخــذوا منهم أوليــاء حــتى يهــاجروا في ســبيل الله فــإن تولــوا فخــذوهــم واقتلوهــم حيث وجـــــــــدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا } .

الآية الثالثة عشـــرة : قوله تعـــالى : { إن الذين آمنـوا وهـاجروا وجاهـدوا بـأموالهم وأنفسـهم في سـبيل الله والـذين آوو ونصـروا أولئك بعضـهم أولياء بعض } إلى قوله تعالى : { والـذين كفـروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلــوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير } قال البغوي : قـال ابن اسـحاق : جعل الله المهــاجرين والأنصــار أهل ولاية في الـــدين دون من ســـواهم وجعل الكـــافرين بعضهم أوليـاء بعض ، ثم قـال : { إلا تفعلـوه } وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن : { تكن فتنة في الأرض وفســاد كبــير } فالفتنة في الأرض قــوة الكفر ، والفســاد الكبــير ضـعف الإسلام اهـ .

وقــــال ابن كثـــير : أي إن لم تجــــانبوا المشـركين وتوالـوا المؤمـنين وإلاّ وقعت فتنة في النـــــاس وهو التبـــــاس الأمر واختلاط المؤمـنين بالكـافرين فيقع بين النـاس فسـاد منتشر عريض طويل اهـ .

الآيـة الرابعة عشـــرة : قوله تعــالى : { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومــالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون } وهذا نهي من الله تبارك وتعـالى عن الركـون إلى الظـالمين

من الكفـار والمنـافقين والفسـاق والفجـار ، وإخبـار منه تعـالى بـأن الركـون إليهم مـوجب للعـذاب في الـدار الآخـرة . قـال الجـوهري والهـروي وغيرهما من أهل اللغة : الركـون السـكون إلى الشـيء والميل إليه . وقـال البغوي : هو المحبة والميل بالقلب .

قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما : لا تميلوا إلى الـذين ظلمـوا . وعنه : هو الركـون إلى الشرك . وعنه : لا تداهنوا . وقال السـدي : لا تـداهنوا الظلمة . وقـال أبو العالية : لا ترضـوا بأعمـالهم . وعن عكرمة : هو أن تطيعـوهم أو تـودوهم أو تصـطنعوهم . قـال بعض العلمـاء : معـنى تصـطنعوهم تولّـوهم الأعمال كمن يـولي الفسـاق والفجـار . وقـال ابن الأثير : الاصطناع افتعال من الصنيعة وهي العطية والكرامة والإحسـان . وقـال الزمخشـري : النهي متنـاول للإنخـراط في هـواهم والإنقطـاع إليهم ومصـاحبتهم والرضى بأعمالهم والنسبة إليهم والتزيي بـزيهم . قـال بعض العلمـاء : وكـذلك مجالسـتهم وزيـارتهم ومداهنتهم ومـدلين إلى زهـرتهم وذكـرهم بما فيه تعظيم لهم .

الآية الخامسة عشرة : قوله تعـالى : { ياأيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا بطانة من دونكم لا يـألونكم خبـــالا ودوا ما عنتم } قـــال الجـــوهري : بطانة الرجل وليجته . وقال ابن الأثير : بطانة الرجل صاحب سره وداخلة أمـره الـذي يشـاوره في أحواله . وقـــال البغـــوي في قوله تعـــالى { لا تتخـذوا بطانة من دونكم } : أي أوليـاء وأصـفياء من غـــير أهل ملّتكم وبطانة الرجل خاصـــته تشـــبيها ببطانة الثـــوب الـــتي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطّلعون منه على مـالا يطلع عليه غـــيرهم ، ثم بين العلّـــة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكـره { لا يـألونكم خبـالا } أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد اهـ .

وقـال القرطـبي في تفسـيره : نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخـذوا من الكـــافرين واليهـــود وأهل الأهـــواء دخلاء وولائج يفاوضـونهم في الآراء ويسـندون إليهم أمـــــورهم . وروى ابن أبي حـــــاتم عن أبي الدهقانة قـال : قيل لعمر بن الخطـاب رضي الله عنه : إنّ ها هنا غلام من أهل الحـــــيرة

حافظا كاتبا فلو اتخذته كاتبا ، فقـــــال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجــــــوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسـلمين واطلاع على دواخل أمـورهم الـتي يخشى أن يفشـــوها إلى الأعــــداء من أهل الحرب .

الآية السادسة عشــرة : قوله تعــالى : { أم حســبتم أن تــتركوا ولما يعلم الله الــذين جاهــدوا منكم ولم يتخـــذوا من دون الله ولا رســـوله ولا المؤمــنين وليجة والله خبــير بما تعملــون } قــال الجوهري وغـيره من أهل اللغة : وليجة الرجل خاصته وبطانته . وقال البغـوي : وليجة بطانــة وأوليـاء يوالـونهم ويفشـون إليهم أسـرارهم ، قـال : وقـال أبو عبيـدة كل شـيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون في القــوم وليس منهم وليجة ، فوليجة الرجل من يختص بدخيلة أمــره دون النــاس ، يقــال هو وليجــتي وهم وليجــتي للواحد والجمع . وقــال الــراغب الأصــفهاني : الوليجة كل ما يتخــذه الإنســان معتمــدا عليه وليس من أهله ، من

قـــــولهم فلان وليجة في القـــــوم إذا لحق بهم وليس منهم إنسانا كان أو غيره . قـال : { ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمـنين وليجة } وذلك مثل قوله : { لا تتخذوا اليهود والنصـارى أولياء } .

فصل

إذا علم تحـريم مـوالاة أعـداء الله تعـالى ومــوادتهم ، فليعلم أيضا أن الأســباب الجالبة لمـوالاتهم ومـوادتهم كثـيرة جـدا ، ومن أقربها وسـيلة مسـاكنتهم في الـديار ، ولاسـيما في ديارهم الخاصة بهم ، ومخالطتهم في الأعمال ومجالســـتهم في المجـــالس ومصـــاحبتهم وزيارتهم واستزارتهم وتولي أعمالهم وتوليتهم في أعمال المسلمين والتزيي بـزِيِّهم والتـأدب بـآدابهم وتعظيمهم بـالقول أو بالفعل . وكثـير من المسلمين واقعون في بعض هذه الأفعـال الذميمة ، وبعضهم واقع في كثير منها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكما أن الله ســبحانه وتعــالى قد كـــرر النهي لعبـــاده المؤمـــنين عن مـــوالاة أعدائه وشـــدد عليهم في ذلك وحـــذرهم مما يـــترتب على مـوالاتهم من الفتنة والفسـاد في الأرض وسـخط الله وأليم عقابه في الـدار الآخـرة ، فقد أمر تبـارك وتعـالى مع ذلك بالغلظة على أعدائه والشدة عليهم ومعاملتهم بما فيه إذلال لهم وتصـغير وتحقـير لشـأنهم وكل ذلك بضد

مــوالاتهم ومــوادتهم قــال الله تعــالى : { ياأيها النـــبي جاهد الكفـــار والمنـــافقين واغلظ عليهم } وقال تعالى : { يا أيها الـذين آمنـوا قـاتلوا الـذين يلــونكم من الكفـار وليجـدوا فيكم غلظة } وقـال تعالى : { قـاتلوا الـذين لا يؤمنـون بالله ولا بـاليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسـوله ولا يـدينون دين الحق من الــذين أوتــوا الكتــاب حــتى يعطــوا الجزية عن يد وهم صــاغرون } وقـــال تعــالى : { محمد رســـول الله والـــذين معه أشـــداء على الكفـــار رحمـــاء بينهم } إلى قولـــه تعــالى : { ليغيظ بهم الكفـار } وقـال تعـالى : { ولا يطـأُون موطئا يغيظ الكفـار ولا ينالون من عدو نيلا إلاّ كتب لهم به عمل صـالح إن الله لايضـيع أجر المحسـنين } وقــال تعــالى : { ياأيها الــذين آمنــوا من يرتد منكم عن دينه فســـوف يـــأتي الله بقـــوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } .

فصل

وقد وردت أحاديث كثيرة بالنهي عما فيه تعظيم لأعداء الله تعالى ولو بأدنى شيء من التعظيم ، والمقصود من ذلك والله أعلم سد الذريعة إلى موالاتهم وموادتهم فمن ذلك بداءتهم بالسلام ومصافحتهم والترحيب بهم والقيام لهم وتصديرهم في المجالس والتوسيع لهم في الطريق ، لما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده بنحوه . وفي رواية للبخاري في الأدب المفرد : (إذا لقيتم المشركين في الطريق فلا تبدءوهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها) . ورواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه .

وفي المســـند أيضا عن عقبة بن عـــامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله : (إنّي راكب غدا إلى يهود فلا تبدءوهم بالسلام فـإذا ســـلموا عليكم فقولـــوا وعليكم) ورواه ابن ماجة في سـننه عن أبي عبـدالرحمن الجهـني رضي الله عنه عن النبي بمثله ، وقد قيل أن أبا عبد الرحمن هـذا هو عقبة بن عـامر . قـال الحافظ ابن حجر : قـرأت بخط الحافظ عمـاد الـــدين ابن كثـــير أنه قيل هو عقبة بن عـــامر الصحابي المشهور . وقد يكون غـيره فقد ذكر ابن عبد الـــبر في كنية عقبة بن عـــامر ثمانية أقـوال ولم يـذكر فيها أبا عبد الـرحمن . وذكر النووي فيها تسعة أقوال ولم يذكر فيها أبا عبد الرحمن والله أعلم .

وروى الإمـــام أحمد والبخـــاري في الأدب المفـــرد والنســـائي والحافظ الضـــياء في المختـارة عن أبي بصـرة الغفـاري رضي الله عنه عن النبي مثل حديث عقبة .

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه قـال : سـمعت رسـول الله يقـول : (لا تســـاووهم في المجلس وألجئـــوهم إلى

أضـيق الطـرق فـإن سبّوكم فاضـربوهم وإن ضـــربوكم فـــاقتلوهم) . وفي رواية قـــال : سـمعت رسـول الله يقـول : (صـغروا بهـم كما صغر الله بهم) . قال أبو داود : قلت لأبي عبدالله يعـني أحمد بن حنبل : تكـره أن يقـال للرجل الـذمي كيف أصـبحت أو كيف حالك أو كيف أنت أو نحو هذا ؟ قال : نعم ، هذا عنـدي أكثر من السلام . وقال أبو عبد الله : إذا لقيته في الطريق فلا توسع له .

وقال أبو داود أيضا سـمعت أحمد سـئل : أيبتدأ الذمي بالسلام إذا كـانت له إليه حاجة ؟ قال : لا يعجبني . وذكر غير أبي داود أن أحمد رحمه الله تعـالى سـئل عن مصـافحة أهل الذمة ، فكرهه . وروى أبو نعيم في الحلية من طريق اسـحاق ابن راهويه حـدثنا بقية حـدثني محمد القشيري عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قـال : نهى رسـول الله أن يصـافح المشركون أو يكنّوا أو يرحب بهم .

ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثـــير من الجهـال في زماننا إذا لقي أحـدهم عـدوّ الله سلم عليه ووضع يـده على صـدره إشـارة إلى

أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن منزلته عنده على الـرأس . وهــذا الفعل المحــرم يخشى على فاعله أن يكــون مرتــدا عن الإســلام لأن هــذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعـداء الله تعـالى وقد قال تعـالى : { ومن يتـولهم منكم فإنه منهم } .

فصل

قـــال ابن مفلح في الفـــروع : وتحــــرم العيادة والتهنئة والتعزية لهم كالتصدير والقيام والبداءة بالسلام وكمبتدع يجب هجره . وعنه : يجـــوز وفاقا لأبي حنيفة والشـــافعي . وعنه : لمصلحة راجحة كرجاء الإسلام اختاره شيخنا . ومعناه قول الآجري وأنه قول العلماء أنه يعـاد ويعـــرض عليه الإســـلام وقد نقل عنه أبو داود أنه كان يريد أن يدعوه للإسلام فنعم اهـ .

قلت : أمّـــا عيـــادة المشـــرك والكتـــابي لعرض الإسلام عليه إذا رجى إسلامه فالصحيح جــواز ذلك ، والــدليل عليه ما في الصـحيحين وغيرهما عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال :

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية فقال : (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة . الحديث .

وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم . فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : (الحمد لله الذي أنقذه من النار) . وأما تهنأتهم وتعزيتهم فالأصح تحريم ذلك كما جزم به كثير من العلماء وعللوا ذلك بأنه يحصل الموالاة ويثبت المودّة ولما فيه من تعظيم أعداء الله تعالى فيحرم لذلك كما تحرم بداءتهم بالسلام والتوسيع لهم في الطريق .

ومما لا ريب فيه أنه من موالاة أعداء الله وموادتهم ما يفعله بعض الناس من الذهاب إلى أعداء الله تعالى في أيام عيدهم فيدخلون

عليهم في بيـــوتهم وكنائســـهم ويهـــنئونهم بأعيادهم الباطلة وما هم فيه من السرور بها ، ولقد ذكر لنا أن هذا يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم فضلا عن العامة . وقد قيل في تفسير قوله تعالى : { والذين لا يشـهدون الـزور } أن المراد به أعياد المشركين حكـاه البغـوي عن مجاهد ، وحكــاه ابن كثــير عن أبي العالية وطـاووس وابن سـيرين والضـحاك والربيع بن أنس وغــيرهم . وروى أبو الشــيخ الأصــبهاني بإسناده عن عطـاء بن يسـار قـال : قـال عمر رضي الله عنه : إيـــاكم ورطانة الأعاجـم وأن تـــدخلوا على المشــركين يــوم عيــدهم في كنائسـهم . وروى الـبيهقي بإسـناد صـحيح عن عطاء بن دينار قال : قـال عمر رضي الله عنه : لا تعلمــوا رطانة الأعــاجم ولا تــدخلوا على المشــركين في كنائســهم يــوم عيــدهم فــإن السخطة تنزل عليهم .

وروى أيضا بإسـناده عن البخـاري صـاحب الصـحيح قـال : قـال لي إبن أبي مـريم : أنبأنا نـــافع بن يزيد ســـمع ســـليمان بن أبي زينب وعمرو بن الحارث سمع سعيد بن سلمة سمع

أبــاه ســمع عمر بن الخطــاب رضي الله عنه قال : اجتنبوا أعداء الله في عيدهم .

قــال عبد الملك بن حــبيب : ســئل ابن القاسم عن الركوب في السـفن الـتي تـركب فيها النصارى إلى أعيادهم ، فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم بشـركهم الـذي اجتمعـوا عليه . قـال : وكـره ابن القاسم للمسـلم أن يهـدي للنصـراني شـيئا في عيـدهم مكافـأة له ورآه من تعظيم عيـده وعونا له على كفـره ألا تـــرى أنه لا يحل للمســـلمين أن يـــبيعوا من النصارى شيئا من مصـلحة عيـدهم لا لحما ولا إداما ولا ثوبا ولا يعارون دابة ولا يعـاونون على شيء من عيدهم لأن ذلك من تعظيم شــركهم ومن عونهم على كفـرهم ، وينبغي للسـلاطين أن ينهـوا المسـلمين عن ذلك وهو قـول مالك وغــــيره لم أعلم اختلف فيه . وأكل ذبــــائح أعيـــادهم داخل في هـــذا الـــذي اجتمع على كراهته بل هو عنـدي أشد . هـذا كله كلام ابن حـبيب المـالكي نقله عنه شـيخ الإسـلام أبـو العبـاس أحمد ابن تيمية رحمه الله تعـالى في كتــاب (اقتضــاء الصــراط المســتقيم) ونقل كلاما كثــيرا لأئمة الســلف في هــذا المعــنى

فلـــيراجع فإنه مهم مفيد لكل من كـــان الحق ضالته .

وإذا كان الخليفة الراشد الذي أمر رسول الله بالاقتـداء به قد نهى عن مجـرد الـدخول على أعداء الله تعـالى في يـوم عيـدهم فكيف يقـــال في العصـــاة الـــذين يـــدخلون عليهم ويهـــنئونهم بأعيـــادهم الباطلة ولعلهم مع ذلك يتطلقـــون في وجـــوه أعـــداء الله تعـــالى ويظهرون الفرح والسـرور بما فـرح به أعـداء الله وسروا به من أعيادهم الباطلة .

الجـواب أن يقـال : لا يشك مسـلم عاقل شم أدنى رائحة من العلم أن هـــــــــذا من المـوالاة والمـودة لأعـــداء الله تعـالى ومـن المحـادة لله ولرسـوله واتبـاع غـير سـبيل المؤمنـــين ، وقـد قـــال الله تعـــالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونصله جهنَّم وسـاءت مصـــيرا } ومن هـــذا البـــاب ما أحدثه بعض المنتسبين إلى الإسـلام في زماننا من الأعيـاد الباطلة كعيد الثـــــــورة ، وعيد الجلاء ، وعيد الاسـتقلال وغـير ذلك من أعيـادهم الباطلة فلا

يجوز للمسـلم حضـور شـيء من هـذه الأعيـاد المبتدعة ولا التهنئة بها فضلا عن السرور بها . وكــــذلك عيد الجلـــوس الــــذي أحدثه بعض المسلمين فلا تجوز التهنئة به ولا السرور به .

وقد قـــال ابن القيم رحمه الله تعـــالى في أحكام الذمة :

(فصل في تهنئتهم بزوجة أو ولد أو قدوم غائب أو عافية أو سلامة من مكروه ونحو ذلك) وقد اختلفت الرواية في ذلك عن أحمد فأباحها مرة ومنعها أخرى والكلام فيها كالكلام في التعزية والعيـــادة ولا فـــرق بينهما ، ولكن ليحذر الوقوع فيما يقع فيه الجهّال من الألفاظ التي تدل على رضاه بدينه كما يقول : أحــدهم متّعك الله بـدينك أو يقـول : له أعـزك الله أو أكرمك ، إلاّ أن يقـــول : أكرمك الله بالإســـلام وأعـزّك به ونحو ذلك ، فهـــــــــذا في التهنئة بالأقوال المشتركة .

وأما التهنئة بشــــــعائر الكفر المختصة به فحـــرام بالاتفـــاق ، مثل أن يهنئهم بأعيـــادهم وصـــومهم فيقـــول عيد مبـــارك عليك ، أو تهنأ

بهـذا العيد ونحـوه ، فهـذا إن سـلم قائله من الكفر فهو من المحرمـــات وهو بمنزلة التهنئة بسجوده للصـليب بل ذلك أعظم إثما عند الله وأشد مقتا من التهنئة بشــــــرب الخمر و قتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحـوه ، وكثـير ممن لا قدْر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدرك قبح ما فعل ، فمن هنّأ عبـدا بمعصـية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه .

وقد كـــــان أهل الـــــورع من أهل العلم يتجنّبون تهنئة الظلمة بالولايات وتهنئة الجهـال بمنصب القضاء والتدريس والافتاء تجنبا لمقت الله وسقوطهم من عينه اهـ .

فــانظر إلى حكايته الاتفــاق على تحــريم تهنئة أعداء الله تعالى بأعيادهم الباطلة وانظر إلى ما وقع فيه كثير من المسـلمين في زماننا لتعرف غربة الدين والله المستعان .

فصل

ومما ورد النهي عنه أيضا مصـاحبة أعـداء الله تعالى ودعوتهم إلى طعام كما في حـديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النــبي ﷺ قـال : (لا تصـاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه الإمـــــــــام أحمد وأبو داود الطيالسي وأبو داود السجســتاني والترمــذي والـدارمي وابن حبـان والحـاكم وقـال صـحيح الإســناد ولم يخرجـــاه ووافقه الـــذهبي في تلخيصه .

قال الخطـابي : إنما جـاء هـذا في طعـام الـــدعوة دون طعـــام الحاجة وذلك أن الله سـبحانه قـال : { ويطعمـون الطعـام على حبه مسـكينا ويتيما وأسـيرا } ومعلـوم أن أسـراهم كانوا كفارا غير مؤمنين ولا أتقيـاء . وإنما حـذر من صحبة من ليس بتقي وزجــر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمـــودّة في القلوب ، يقول لا تؤالف من ليس من أهل التقـــوى والـــورع ولا تتخـــذه جليسا تطاعمه وتنادمه اهـ .

وروى الإمام أحمد أيضا وأبو داود الطيالسي وأبو داود السجستاني والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . وفي رواية لأحمد : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط) . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الحاكم : صحيح إن شاء الله تعالى ووافقه الذهبي في تلخيصه وصححه أيضا النووي .

فصل

ومما ورد النهي عنه أيضا مكاتبـــة أعــداء الله تعالى وتكنيتهم بكنى المسلمين كأبي عبد الله وأبي القاسم ، وكـــذلك تلقيبهم بألقــاب المســلمين كعز الــدين ونحــوه . وقد روى أبو الشـيخ الأصـبهاني بإسـناده أن عمر رضي الله عنه كتب : ألاّ تكاتبوا أهل الذمة فتجـري بينكم وبينهم المـــودة ولا تكنّـــوهم وأذلـــوهم ولا تظلموهم ، وفي الشروط التي الــتزم بها أهل الذمة وأمضـــــاها عليهم عمر رضي الله عنه فمن بعده أنهم لا يكتنون بكنى المسلمين .

وقد تقــدم قريبا حــديث جــابر رضي الله عنه قـــال : نهى رســـول الله أن يصـــافح المشــركون أو يكنّــوا ويــرحب بهم . رواه أبو نعيم في الحلية .

فصل

ولا يجوز مـدح أعـداء الله تعـالى لما رواه ابن أبي الـدنيا وأبو يعلى والـبيهقي في شـعب الإيمــان عن أنس رضي الله عنه قــال : قــال رسول الله : (إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش) .

فصل

ولا يجوز وصف أعداء الله تعـالى بصـفات الإجلال والتعظيم كالســـــيد ، والعبقــــــري ، والســـــــــــامي ونحو ذلك ، لما رواه أبو داود والنســائي والبخــاري في الأدب المفــرد عن بريدة رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله : (لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سـيدا فقد أسـخطتم ربكم عز وجل) ورواه الحـاكم في مســتدركه وصـححه ، ورواه الــبيهقي في شـعب الإيمـان بنحـوه . ولفظ الحـاكم : (إذا قـال الرجل للمنـافق يا سـيد فقد أغضب ربه تبـارك وتعـالى) . ولفظ الـبيهقي : (إذا قـال الرجـل للمنافق ياسيد فقد بـاء بغضب ربه) . قال الطيبي : ومولانا داخل في هذا الوعيد بل أشد وكذا قوله أستاذي اهـ .

وقد قلت المبــالاة بشــأن هــذا الحــديث الشريف حتى صار إطلاق إسم السـيد ونحـوه على كبراء الكفار والمنافقين مألوفا عند كثـير من المسلمين في هذه الأزمان ، ومثل السـيد (المســـتر) باللغة الإفرنجية . وأشد النـــاس

مخالفة لهــذا الحــديث أهل الإذاعــات ، لأنهم يجعلــــون كل من يســـتمع إلى إذاعــــاتهم من أصــناف الكفــار والمنــافقين ســادة ، وســواء عنــدهم في ذلك الكبــير والصــغير والشــريف والوضـــيع والذكــر والأنـــثى ، بل الإنـــاث هن المقــدمات عنــدهم في المخاطبة بالســيادة ، وفي الكثــير من الأمــور خلافا لما شــرعه الله من تــأخيرهن . وبعض أهل الأمصــار يســمون جميع نســائهم ســيدات ، وســواء عنــدهم في ذلك المســلمة والكــافرة والمنافقة والصــالحة والطالحة .

ويلي أهل الإذاعـــات في شـــدة المخالفة لحـــــديث بريــــدة رضي الله عنه أهل الجرائد والمجلات وما شــــابهها من الكتب العصــــرية لأنهم لا يــرون بمــوالاة أعــداء الله ومــوادتهم وتعظيمهم بأسا ، ولا يـــــــرون للحب في الله والبغض في الله والمــوالاة فيه والمعــاداة فيه قدرا وشأنا .

فصل

وقد ورد النهي عن مجامعة المشركين ومساكنتهم في ديارهم والتغليظ في ذلك لأن مجامعتهم ومساكنتهم من أعظم الأسباب الجالبة لموالاتهم وموادتهم ، والأحاديث في ذلك كثيرة :

الحديث الأول : منها عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : أما بعد قال رسول الله : (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) رواه أبو داود ، ورواه الترمذي معلقا بصيغة الجزم فقال : وروى سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي قال : (لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم) . ورواه الحاكم في مستدركه من حديث الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي قال : (لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا) قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وقال الذهبي في تلخيصه على شرط الشيخين : وظاهر هذا

الحـديث العمـوم لكل من جـامع المشـركين وساكنهم اختيارا منه لذلك لا اضطرارا وعجـزا اهـ .

الحـــديث الثـــاني : عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رســـول الله قـــال : (أنا بـــــــريء من كل مســـــــلم يقيم بين أظهر المشركين) قالوا يا رسول الله :ِلم ؟ قـال : (لا تــراءى ناراهما) رواه أبو داود والترمــذي بهـــذا اللفظ ، ورواه الطـــبراني في الكبـــير والـبيهقي في سـننه ولفظهما : (من أقـام مع المشـــركين فقد بـــرأت منه الذمة) . قـــال الفضل بن زيـــاد : ســـمعت أحمد رحمه الله تعالى يُسأل عن معنى لا تـراءى ناراهما فقـال : لا تنزل من المشركين في موضع إذا أوقدت رأوا فيه نــارك وإذا أوقــدوا رأيت فيه نــارهم ولكن تباعد عنهم اهـــ . وقــال ابن الأثــير في النهاية : أي يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن مـنزل المشـرك ولا يـنزل بالموضع الـذي إذا أوقـدت فيه نـاره تلـوح وتظهر لنـار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكنه يــنزل مع المســـلمين في دارهم وإنما كـــره مجـــاورة المشـــركين لأنهم لا عهد لهم ولا أمـــان وحث

المسلمين على الهجرة . وإسـناد الـترائي إلى النارين مجـاز من قـولهم : داري تنظر إلى دار فلان . أي تقابلها يقــول : ناراهما مختلفتــان ، هذه تدعو إلى الله وهذه تـدعو إلى الشـيطان فكيف يتفقان اهـ .

وفي هــذين الحــديثين وعيد شــديد لمن جـامع المشـركين وسـاكنهم اختيـارا ، فليحـذر المسلمون المقيمـون بين الوثـنين والمرتـدين والنصارى والمجـوس وغـيرهم من أعـداء الله تعالى أن يلحقهم هـذا الوعيد الشديد .

الحــديث الثـالث : عن أنس رضي الله عنه عـن النــبي أنه قــال : (لا تستضــيئوا بنــار المشــــركين) رواه الإمـــام أحمد والنســـائي والبخـــــاري في تاريخه وابن جرير وأبو يعلى . قــال الحافظ ابن كثــير رحمه الله تعــالى في تفسيره : معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونــــون معهم في بلادهم بل تباعـــــدوا منهم وهاجروا من بلادهم واختار هـذا القـول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى اهـ . قال ابن الأثير : معنـاه لا تستشـيروهم ولا تأخـذوا بـآرائهم ، جعل الضوء مثلا للرأي عند الحيرة اهـ .

قلت : وهــذا القــول مــروي عن الحسن البصـــــري رواه عنه أبو يعلى وابن جرير في تفسير قوله تعالى : { ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا } قـال الحسن : وأما قوله ولا تستضـيئوا بنـار المشـركين فإنه يقـول لا تستشـيروهم في شـيء من أمـوركم قال الحسن : وتصديق ذلك في كتــاب الله ثم تلا هــذه الآية : { يا أيها الــذين آمنــوا لا تتخــذوا بطانة من دونكم } . قـــال ابن كثـــير : وهـــذا التفسير فيه نظر .

قلت : والظاهر أن النهي شـامل للأمـرين كليهما فلا يجـوز لمسـلم مسـاكنة المشـركين اختيـارا ولا مشـاورتهم وأخذ آرائهم ، والقـول الأول أظهر يـــدل ذلك قوله ﷺ : (لا تـــراءى ناراهما) . وقوله في حــديث الزهــري الــذي سيأتي ذكره قريبا : (وأنك لا ترى نار مشـرك إلاّ وأنت له حرب) والله أعلم .

الحــديث الرابع : عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : (لا يقبل الله من مشرك بعـدما يسـلم عملا

أو يفـارق المشـركين إلى المسـلمين) رواه الإمام أحمد والنسائي والحـاكم في مسـتدركه وقـال : صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الحـديث الخـامس : عن يزيد بن الشخّير قال : بينا أنا مع مطـرف بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أدم ، قـال : كتب لي هـذه رسـول الله ، فهل أحد منكم يقـرأ ؟ قـال : قلت أنا أقـرأ ، فـإذا فيها : (من محمد النـبي لبـني زهـير بن أُقَيْش أنهم إن شـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسـول الله وفـارقوا المشـركين وأقـروا بـالخمس في غنـائمهم وسـهم النـبي وصَـفيِّه أنهم آمنـون بأمـان الله ورسوله) رواه النسائي .

الحـديث السـادس : عن جرير رضي الله عنه قـال : بـايعت رسـول الله على إقـام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وعلى فراق المشركين . رواه النسـائي . وفي رواية له قال جرير : أتيت النبي وهو يبايع ، فقلت : يا رسـول الله ابسط يـدك حـتى أبايعك واشـترط علي فـأنت أعلم ، قـال : (أبايعك

على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتـؤدي الزكـاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين) .

الحـديث السـابع : عن أبي اليسر كعب بن عمـرو رضي الله عنه قـال : أتينا النـبي وهو يبايع الناس فقلت : يا رسول الله ابسط يـدك حـتى أبايعك واشـترط علي فـأنت أعلم بالشـرط ، قـال : (أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصـلاة وتـؤتي الزكـاة وتناصح المسـلم وتفارق المشرك) رواه الحاكم في مسـتدركه .

الحـديث الثـامن : عن الزهـري مرسلا أن رسول الله أخذ على رجل دخل في الإسـلام فقـال : (تقيم الصـلاة وتـؤتي الزكـاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشـرك إلا وأنت له حرب) رواه ابن جرير .

فليتأمل المسـلمون السـاكنون مع أعـداء الله تعـالى هـذه الأحـاديث وليعطوها حقّها من العمل فقد قـال الله تعـالى : { فبشر عبـادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب } .

فصل

والحب في الله والبغض في الله والمـوالاة في الله والمعـاداة في الله من أهم أمور الدين وأوثق عرى الإيمان كما قيل :

وما الدين إلا الحب والبغض والولا
كذاك البرا من كل غاو ومعتد

وروى الإمـام أحمد من حـديث الـبراء بن عازب رضي الله عنهما قـال : كنّـا جلوسا عند النـبي فقـال : (أيّ عـرى الإسـلام أوثق ؟) قالوا : الصـلاة . قـال : (حسـنة وما هي بها) قالوا : صيام رمضـان ، قـال : (حسن وما هو به) قالوا : الجهاد . قـال : (حسن ومـا هو به) قال : (إن أوثق عـرى الإيمـان أن تحب في الله وتبغض في الله) . ورواه أبو داود الطيالسي وابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه . وروى الطبراني في الكبير عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن رسـول الله قال : (أوثق عرى الإيمـان ، المـوالاة في الله

والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) .

وروى أبو داود الطيالسي في مسنده والطبراني في الصغير والحاكم في مستدركه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ فقال : (يابن مسعود ، أي عرى الإيمان أوثق ؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (أوثق عرى الإسلام الولاية في الله والحب في الله والبغض في الله) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله) . وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان قال : (أن تحب لله وتبغض لله وتُعمل لسانك في ذكر الله) قال : وماذا يا رسول الله ؟ ، قال : (وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك) .

وروى الإمــام أحمد والطــبراني أيضا عن عمــرو بن الجمــوح رضي الله عنه أنه ســمع النـبي يقـول : (لا يجد العبد صـريح الإيمـان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله تبـارك وتعـــالى وأبغض لله فقد اســتحق الولاية من الله) . وروى أبو داود في سننه والـبيهقي في شعب الإيمـان والحافظ الضـياء المقدسي عن أبي أمامة البـاهلي رضي الله عنه عن رســول الله أنه قــــال : (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمـان) . وروى الإمــــام أحمد والترمــــذي والحــــاكم والبيهقي عن معـاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي قال : (من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان) قال الحـاكم : صـحيح على شـرط الشـيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى أبو داود الطيالسي والنســــــــائي واللفظ له عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه ، أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله وأن يبغض في الله وأن توقد

نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشــرك بالله شـــيئا) . وهـــذا الحـــديث مخـــرج في الصحيحين وغيرهما بغير هذا اللفظ .

وروى الحــاكم في المســتدرك وأبو نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : (الشرك أخفى من دبيب النمل على الصــفا في الليلة الظلمـــاء ، وأدنـــاه أن تحب على شـــيء من الجــور أو تبغض على شـــيء مـن العدل ، وهل الدّين إلاّ الحـب في الله والبغض في الله ، قـــال الله تعـــالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله }) .

وروى أبو نعيم أيضا من طـــرق عن ليث بن أبي ســليم عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال : قـال لي النـبي : أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعـــاد في الله فإنك لن تنال ولاية الله إلاّ بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كـثرت صـلاته وصـيامه حتى يكون كذلك . وصارت مـوالاة النـاس في أمر الدنيا وأن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئا .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعـاد في الله فإنما تنـال ولاية الله بـــذلك ولن يجد عبد طعم الإيمـــان وإن كثرت صـلاته وصـومه حـتى يكـون كـذلك وقد صـارت عامة مؤاخـاة النـاس على أمر الـدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا .

قــال الشــيخ عبد الــرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى : فإذا كـانت البلـوى قـد عمت بهــذا في زمن ابن عبـاس رضي الله عنهما خـير القـرون فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شـــدة حـــتى وقعت المـــوالاة على الشـــرك والبـــدع والفســـوق والعصيان اهـ .

قلت : والأمر بعد زمن الشــــــيخ عبد الــرحمن أعظم وأعظم ، ولا سـيما في زماننا هـــذا الـــذي قد اشـــتدت فيه غربة الـــدين وانعكست فيه الحقائق عند الأكثرين حتى عـاد المعــروف عنــدهم منكــرا والمنكر معروفا ، ومن ذلك موالاة الكفار والمنـافقين ومـوادتهم ومصـــاحبتهم ومجالســـتهم ومـــواكلتهم ومشـــاربتهم والأنس بهم والإنبســـاط معهم

وكذلك موادة أهل البدع والفسـوق والعصـيان ومصـــــاحبتهم ومجالســــتهم ومـــــواكلتهم ومشـاربتهم والأنس بهم والإنبسـاط معهم كل ذلك قد صـــار من قبيل المعـــروف عند أكـــثر النـــاس بل عند كثـــير ممن ينتسب إلى العلم والدين .

وأما الحب في الله والبغض في الله والمـــوالاة في الله والمعـــاداة في الله وهجر أهل المعاصي لله والإكفهرار في وجوههم من أجل ما ارتكبــــوه من المعاصي فكل ذلك قد صار عند كثير من الناس من قبيل المنكرات .

حـتى أن كثـيرا من المنتسـبين إلى العلم قد صاروا يدنـدنون حـول انكـار هـذه الأعمـال الفاضلة المحبوبة إلى الله تعالى ويعـدونها من مسـاوئ الأخلاق ، ويعيبـون على من يعمل بها ويـذمونهم ويعـدونهم لـذلك أهل تجـبر وتكـبر وتعنت وشذوذ وتشـديد وغلو في الـدين ، وقد ســـمعت هـــذا أو بعضه من بعض الخطبـــاء والقصاص الثرثارين المتشدقين الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يـؤمرون ، ويـأمرون

الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

وسمعت بعضهم يصرح على رؤوس الأشهاد بانكار الحب في الله والبغض في الله ، وسمعتهم أيضا يحثون الناس في خطبهم وقصصهم على حسن السلوك مع الناس كلهم واستجلاب مودتهم ومحبتهم ويرغبونهم في إظهار البشاشة لكل أحد وسواء على ظاهر كلامهم الصالح والطالح من الناس , وربما صرح بعضهم أن هذه الأفعال الذميمة من حسن الخلق ومن مقتضيات العقل .
فيقال لهؤلاء الحيارى المغرورين ، العقل في باب الحب والبغض والموالاة والمعاداة عقلان :

أحدهما : عقل مسدد موفق قاهر للهوى والنفس الأمارة بالسوء قد استنار بنور الإيمان وصار الحاكم عليه كتاب الله وسنة رسوله ، فهذا العقل يقتضي من أصحابه أن لا يقدموا على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله شيئا أبدا ويقتضي من أصحابه أن يحبوا في الله ويبغضوا في الله ويوالوا في الله ويعادوا في

الله ويعطوا لله ويمنعوا لله ويسارعوا إلى كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال سواء رضي الناس أو سخطوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وما أقل أهل هذا العقل في هذه الأزمان المظلمة .

والعقل الآخر : عقل معيشي نفاقي مخذول قد قهرته النفس الأمارة بالسوء وأسرته الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية وصار الحاكم عليه الهوى فمحبته لهواه وبغضه لهواه وموالاته لهواه ومعاداته لهواه وبذله لهواه ومنعه لهواه . فهذا العقل يقتضي من أربابه أن يتملقوا لسائر أصناف الناس بألسنتهم ويحسنوا السلوك مع الصالح والطالح ، وهذا العقل هو الغالب على أكثر الناس في زماننا عامتهم وخاصتهم وما أكثره في المنتسبين إلى العلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : (يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم

أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقــول الله أبي تغترون أم علي تجترئون فــبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تــدع الحليم منهم حيرانا) . وروى الترمـــــذي أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عـن النـبي قـال : (إن الله تبارك وتعالى قـال : لقد خلقت خلقا ألسـنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر فـبي حلفت لأتيحنهم فتنة تــــدع الحليم منهم حيرانا فبي يغترون أم علي يجترئون) قـال الترمـذي : هذا حديث حسن غريب .

وفي هـــذين الحــــديثين إشــــارة إلى أهل العقل المعيشي النفــــــاقي وما هم عليه من المنافقة باللســــــان والتكلف والتصــــــنع في الظاهر يقولون بألسـنتهم ما ليس في قلـوبهم .

قـــــال ابن القيم رحمه الله تعــــالى في وصف أهل هــذا العقل : يظن أربابه أنهم على شـــيء ألا إنهم هم الكــاذبون ، فــإنهم يــرون العقل أن يرضــــوا النــــاس على طبقـــــاتهم ويسالموهم ويستجلبوا مودتهم ومحبتهم وهــذا مع أنه لا ســبيل إليه فهو إيثــار للراحة والدعة على مؤنة الأذى في الله والمــــــــــوالاة فيه

والمعاداة فيه وهو وإن كـان أسـلم عاجلة فهو الهلك في الآجلة فإنه ما ذاق طعم الإيمان من لم يـوال في الله ويعـاد فيه فالعقل كل العقل ما أوصل إلى رضا الله ورسـوله والله الموفق اهـ .

وفي حـديث مرفـوع ذكـره ابن عبد الـبر وغـيره : (أوحى الله إلى نـبي من أنبيـاء بـني إسـرائيل قل لفلان العابد : أما زهـدك في الـدنيا ، فقد تعجلت به الراحة ، وأما انقطاعك إلي ، فقد اكتسبت به العز فما عملت فيما لي عليك ، قـال : وما لك علي ، قـال هل واليت في وليا ، أو عـاديت في عـدوا) . قلت : وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن محمد بن أبي الـورد قـال : حـدثني سـعيد بن منصور حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحـارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قـال رسـول الله فذكره بنحوه .

وذكر ابن عبد البر أيضا : (أن الله تعالى أوحى إلى جبريل أن اخسف بقرية كـذا وكـذا قـال : يـارب إن فيهم فلانا العابد ، قـال : به فابـدأ ، إنه لم يتمعر وجهه فيّ يوما قط) وقد

رواه الــبيهقي في شـعب الإيمــان من حــديث جابر رضي الله عنه عن النبي فذكره بنحــوه .

وروى أبو نعيم في الحلية من حـــــــديث مكحــول عن واثلة بن الأســقع رضي الله عنه مرفوعا ، قال : (يؤتى بعبد محسن في نفسه لا يـرى أن له ذنبا فيقـول له : هل كنت تـوالي أوليائي ، قال : كنت من الناس سـلما ، قـال : فهل كنت تعـادي أعـدائي ، قـال : رب لم يكن بيني وبين أحد شــيء ، فيقــول الله عز وجل : لا ينــال رحمــتي من لم يــوال أوليــائي ويعــاد أعدائي) .

إذا علم هـــــــذا فأهل العقل المعيشي لا يرون بمداهنة البدع والفسوق والعصــيان بأسا ، وكثــــير منهم لا يـــــرون بمداهنة الكفـــــار والمنافقين بأسا . وبعض أهل الجهل المــركب منهم ينكـــــرون على من يهجر أهل البــــدع والفســوق والعصــيان ويكفهر في وجـــوههم ويعدون ذلك من الهجر الـذي نهى عنه رسـول الله بقوله : (لا تهــاجروا) وقوله : (لا يحل لمســـلم أن يهجر أخـــاه فـــوق ثلاث) . وقد

سـمعت هـذا من بعض الخطبـاء والقصـاص منهم والحامل لهم على التســوية بين الهجر الـديني وهو ما كـان لله وبين الهجر الـدنيوي وهو ما كـــان لحظ النفس لا يخلو من أحد أمرين : إما الجهل بالفرق بين هذا وهذا . وإما قصد لبس الحق بالباطل عنــادا ومكـــابرة وتمويها على الأغبياء الذين لا علم لهم بمدارك الأحكـام ، وهـذا الأخـير هو الظـاهر من حـال المتلبسـين منهم ببعض المعاصي ليـدفعوا عن أنفسهم الشنعة وليوهموا الجهـال أن هجـرهم إيـاهم من أجل المعصـية لا يجـوز وأن الـذين يهجـــرونهم من طلبة العلم وغـــيرهم ليســوا مصيبين .

فيقـال لهـؤلاء المذبـذبين المدلسـين : أن الـذي جـاءت الأحـاديث بـالنهي عنه فيما زاد على الثلاث هو التهـاجر الـدنيوي كما سـيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد جـــاءت الســنة بهجر أهل المعاصي حـتى يتوبـوا كما هجر النـبي كعب بن مالك وصاحبيه خمسين يوما ولم يكلمهم حـتى تـاب الله عليهم . وهجر زينب بنت جحش رضي

الله عنها قريبا من شـــهرين لما قـــالت : أنا أعطي تلك اليهودية ــ تعـني صـفية ــ . وهجر الذي بنى فوق الحاجة حتى هدم بناءه وســواه بالأرض وهجر رجلا رآه متخلقا بزعفـران حـتى غسـله وأزال عنه أثـره . وهجر رجلا رأى عليه جبة من حرير حـــتى طرحها . وهجر رجلا رأى في يده خاتما من ذهب حتى طرحه .

وفي ســنن أبي داود وجــامع الترمــذي ومســتدرك الحــاكم أنه هجر رجلا رأى عليه ثوبين أحمرين . وكان الصـحابة والتـابعون لهم بإحســان يهجــرون من أظهر المعصــية حــتى يتوب وتظهر توبته وقد قال ابن عبد القوي :

وهجران من أبدى المعاصي سنة
وقيل إذا يردعه
أوجب وأوكد
وقيل على الإطلاق ما دام معلنا
ولاقه بوجه
مكفهر معربد

فلم يــذكر خلافا في ســنية هجر العاصي المجاهر بالمعصية سـواء ارتـدع بـالهجر أو لم

يرتـــدع ، وإنما الخلاف في الوجـــوب هل هو على الإطلاق أم إذا كـــان العاصي يرتـــدع به فـأين هـذا مما يـراه المتهوكـون من إبطـال الهجر الـــديني بالكلية ومعاملة النـــاس كلهم صالحهم وطالحهم باللطف واللين والمودة .

قـــال الحافظ بن حجر في فتح البـــاري : ذهب الجمهـور إلى أنه لا يسـلم على الفاسق ولا المبتـدع . قـال النـووي : فـإن اضـطر إلى السـلام بـأن خـاف تـرتب مفسـدة في دين أو دنيا إن لم يُسلِّم سَلَّم . وكذا قـال ابن العـربي وزاد : وينوي أن السـلام إسم من أسـماء الله تعالى فكأنَّه قال : الله رقيب عليكم .

وقـــال المهلب : تــرك الســلام على أهل المعاصي سنة ماضـية وبه قـال كثـير من أهل العلم في أهل البـــــدع وألحق بعض الحنفية بأهل المعاصي من يتعـاطى خـوارم المـروءة ككثرة المزاح واللهو وفحش القول والجلـوس في الأسـواق لرؤيـة من يمـر من النساء ونحو ذلك اهـ . وحكى ابن رشد قال : قال مالك : لا يسلم على أهل الأهواء . قال ابن دقيق العيد :

ويكون ذلك على سـبيل التـأديب لهم والتـبري منهم .

وقــال البخــاري رحمه الله تعــالى في صـحيحه (بـاب الهجر) ، وقـول النـبي ﷺ : (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث) ثم ساق في الباب ثلاثة أحاديث في تحريم الهجر فـوق ثلاث ثم قـال : (بـاب ما يجـوز من الهجـران لمن عصى) وقال كعب حين تخلف عن النبي ﷺ : ونهى النـبي ﷺ المسـلمين عن كلامنا وذكر خمسين ليلة .

ثم قـال بعد ذلك في كتـاب الإسـتئذان : (باب من لم يسلم على من اقـترف ذنبا ومن لم يرد سلامه حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي) وقال عبد الله بن عمـرو رضي الله عنهما : لا تسلموا على شـربة الخمر . ثم ذكر طرفا من حـديث كعب بن مالك قــال : ونهى رسـول الله ﷺ عن كلامنا وآتي رسـول الله ﷺ فأسـلم عليه فـأقول في نفسي : هل حـرك شـفتيه بـرد السـلام أم لا حـتى كملت خمسون ليلة .

قال الطبري : قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي .

قلت : وقد أجاد البخاري رحمه الله تعالى وأفاد فيما سلكه من التفريق بين الهجر الدنيوي والهجر الديني فإنه ذكر في الترجمة الأولى حكم الهجر الدنيوي وأنه يحرم فوق ثلاث ثم ذكر في الترجمة الثانية والترجمة الثالثة حكم الهجر الديني وهو هجر أهل المعاصي لله و أبان أنه لا حد له إلا بالتوبة الصادقة .

وقد سلك أبو داود رحمه الله تعالى نحو هذا المسلك فقال في كتاب الأدب من سننه : (باب فيمن يهجر أخاه المسلم) وساق في الباب عدة أحاديث في تحريم الهجر فوق ثلاث . ثم قال في آخر الباب : النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يوما . وابن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات . قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء . وعمر بن عبد العزيز غطى وجهه عن رجل . وقال الخطابي في الكلام على حديث كعب بن مالك رضي الله عنه : فيه من العلم

أن تحــريم الهجــرة بين المســلمين أكــثر من ثلاث إنما هو فيما يكـــون بينهما من قبل عتب أو موجدة أو لتقصـير يقع في حقـوق العشـرة ونحوها دون ما كــان من ذلك في حق الـــدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقـــات والأزمـــان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق اهـ .

وقد روى مسـلم في صـحيحه عن سـالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقــول : (لا تمنعوا نسائكم المساجد ، إذا استأذنَّكم إليها) قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، قـال فأقبل عليه عبد الله فسـبه سـبا سـيئا ما سـمعته سـبه مثله قط وقــال : أخــبرك عن رســـول الله ﷺ وتقـــول والله لنمنعهن . وفي رواية له عن مجاهد أنه ضـــرب في صـــدره . وقد روى البخــاري المرفــوع منه فقط ورواه الإمــام أحمد وأبو داود والترمـــذي وابن ماجة والدارمي وغيرهم بنحو رواية مسلم .

وروى أبو داود الطيالسي رواية مجاهد وقـال : فرفع يـده فلطمه فقـال : أحـدثك عن

رسول الله وتقول هــذا . وفي رواية لأحمد : فما كلمه عبد الله حتى مـات . قـال النـووي : فيه تعزير المعترض على السنة والمعارض لها برأيه ، وفيه تعزير الوالد ولده وإن كـان كبـيرا اهــ . وفيه أيضا جـواز التـأديب بـالهجران قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

وفي مســتدرك الحــاكم عن عمــرو بن مسـلم قـال : خـذف رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما فقــال : لا تخــذف فــإني سـمعت رســول الله ينهى عن الخــذف ثم رآه ابن عمر رضي الله عنهما بعد ذلك يخـذف فقـال : أنبأتك أن النبي ينهى عن الخـذف ثم خـذفت ، والله لا أكلمك أبدا . قال الإمــام أحمد رحمه الله تعــــالى في رواية محمد بن أبي موسى وقد ســأله رجل خراســاني أن عنــدنا قوما يأمرون برفع اليدين في الصـلاة وقوما ينهـون عنه ، قــال : لا ينهــاك إلا مبتــدع ، فعل ذلك رسول الله . قـال ابن مفلح في النكت على المحرر : وهل يهجر من تركه مع العلم ؟ روي عن الإمـام أحمد فيمن تركه يخـبر به فـإن لم ينته يهجر ، ذكــره الخلال . وهــذا الهجر على ســبيل الجــواز والاســتحباب لعــدم وجــوب

المـتروك وينبغي أن يكـون هـذا النص بـالهجر والنص بأنه مبتــدع بنــاء على النص بأنه تــارك للسنة اهـ .

وفي ســــــنن ابن ماجة أن عبـــــــادة بن الصـامت رضي الله عنه غـزا مع معاوية رضي الله عنه أرض الـــروم فنظر إلى النـــاس وهم يتبـايعون كسر الـذهب بالـدنانير وكسر الفضة بالــدراهم فقــال : يا أيها النــاس إنكم تــأكلون الربا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل لا زيادة بينهما ولا نظــرة) فقــال له معاوية : يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذا إلا ماكان من نظرة ، فقال عبادة : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك ، لئن أخرجني الله ، لا أسـاكنك بـأرض لك علي فيها إمــرة . فلما قفل لحق بالمدينة فقــال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أقدمك يا أبا الوليد فقص عليه القصة ، وما قــــــال من مســاكنته فقــال ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال فإنه هو الأمر .

ورواه الدارمي في سننه مختصـرا ولفظه عند أبي المخــــارق قــــال : ذكر عبــــادة بن الصــامت رضي الله عنه أن النـــبي : (نهى عن درهمين بدرهم) فقال فلان : ما أرى بهذا بأسا يدا بيد فقال عبادة رضي الله عنه : أقول قــال النـــبي وتقــول لا أرى به بأسا والله لا يظلني وإياك سـقف أبـدا . وفي هـذا الحـديث جواز هجران من خالف السـنة وعارضـها برأيه .

وروى مالك في الموطأ والشـــــافعي في مسنده من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطـــاء بن يســـار أن معاوية بن أبي ســـفيان رضي الله عنهما بـاع سـقاية من ذهب أو ورق بــأكثر من وزنها فقــال أبو الــدرداء رضي الله عنه : سـمعت رسـول الله ينهى عن هـذا إلا مثلا بمثل ، فقال له معاوية : ما أرى بمثل هذا بأسا ، فقــال أبو الــدرداء رضي الله عنه : من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ويخبرني عن رأيه لا أســاكنك بــأرض أنت بها . ثم قــدم أبو الــدرداء رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه فذكر ذلك له فكتب عمر رضي

الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه أن لا تبيع ذلك إلا مثلا بمثل وزنا بوزن .

قوله : فقــال أبو الــدرداء رضي الله عنه مـن يعـذرني من معاوية ...إلخ . قـال ابن عبد البر : كان ذلك منه أنفة من أن يرد عليه سـنة علمها من سـنن رسـول الله برأيه . وصـدور العلماء تضيق عن مثل هذا وهو عنـدهم عظيم رد السنن بالرأي ، قال : وجائز للمرء أن يهجر من لم يســمع منه ولم يطعه وليس هــذا من الهجـرة المكروهة ، ألا تـرى أن رسـول الله أمر النـــاس أن لا يكلمـــوا كعب بن مالك حين تخلف عن تبـــوك . قـــال : وهـــذا أصل عند العلمــاء في مجانبة من ابتــدع وهجرته وقطع الكلام عنه ، وقد رأى ابن مســـعود رضي الله عنه رجـلا يضحك في جنـازة ، فقـال : والله لا أكلمك أبــدا . انتهى كلام ابن عبد الــبر رحمه الله تعالى .

وهـذا الأثر الـذي ذكـره عن ابن مسـعود رضي الله عنه قد رواه الإمام أحمد في كتـاب الزهد فقال : حدثنا سفيان حدثنا عبد الـرحمن بن حميد ســمعه من شــيخ من بــني عبس :

أبصر عبد الله رضي الله عنه رجلا يضـحك في جنازة فقال : تضحك في جنازة ، لا أكلمك أبدا .

وفي الصــحيحين عن عبد الله بن بريــدة قـال : رأى عبد الله بن المغفل رضي الله عنه رجلا من أصـحابه يخـذف فقـال له : لا تخـذف فإن رسول الله كان يكـره أو قـال ينهى عن الخذف فإنه لا يصاد به الصيد ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين . ثم رآه بعد ذلك يخـذف فقـال له : أخـبرك أن الرسـول كان يكره أو ينهى عن الخذف ثم أراك تخـذف ، لا أكلمك كلمة كذا وكذا هذا لفظ مسلم وقد رواه الــدارمي في ســننه بنحــوه وقــال فيه : والله لا أكلمك أبــدا . ورواه الإمــام أحمد وأبو داود مختصرا .

ورواه مســلم أيضا وابن ماجة من حــديث ســعيد بن جبــير أن قريبا لعبد الله بن المغفل رضي الله عنه خذف قال : فنهاه ، وقــال : إن رسول الله نهى عن الخذف وقــال : (إنها لا تصـيد صـيدا ولا تنكأ عـدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين) قـال : فعـاد فقـال : أحــدثك أن

رسـول الله نهى عنه ، ثم تخـذف ، لا أكلمك أبـدا . هـذا لفظ مسـلم . وفي رواية ابن ماجة أن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه كـــان جالسا إلى جنب ابن أخ له فخــذف ، فنهــاه . وذكر تمام الحديث بنحو رواية مسلم وفيه ، لا أكلمك أبــدا . وروى الــدارمي في ســننه عن خراش بن جبير قال : رأيت في المسجد فـتى يخــذف ، فقــال له شــيخ : لا تخــذف فــإني سمعت رسول الله ينهى عن الخذف ، فغفل الفـتى ، فظن أن الشــيخ لا يفطن له فخـذف فقال له الشـيخ : أحـدثك أني سـمعت رسـول الله ينهى عن الخـذف ، ثم تخـذف ، والله لا أشــهد لك جنــازة ولا أعــودك في مــرض ولا أكلمك أبدا .

وروى الدارمي أيضا عن أيـوب عن سـعيد بن جبير عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : نهى رسـول الله عن الخذف وقـال : (إنها لا تصــطاد صــيدا ولا تنكي عــدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين) فرفع رجـل بينه وبين سعيد قرابة شيئا من الأرض فقال : هذه وما تكون هذه فقال سـعيد : ألا أراني أحـدثك عن رسول الله ثم تهاون به لا أكلمك أبدا .

وروى الدارمي أيضا عن قتادة قال : حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل : قال فلان كذا وكذا ، فقال ابن سيرين أحدثك عن النبي ﷺ وتقول قال فلان وفلان كذا وكذا ، لا أكلمك أبدا .

قال النووي في الكلام عن حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه : فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم وأنه يجوز هجرانه دائما ، وأن النهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا ، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائما وهذا الحديث مما يؤيده مع نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره اهـ . وقال الحافظ ابن حجر : في الحديث جواز هجران من خالف السنة وترك كلامه ولا يدخل ذلك في النهي عن الهجر فوق ثلاث فإنه يتعلق بمن هجر لحظ نفسه اهـ .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : الهجر الشرعي نوعان :

أحدهما : بمعنى الترك للمنكرات .

والثاني : بمعنى العقوبة عليها .

فالنوع الأول : هو المذكور في قوله تعالى : { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين } وقوله : { وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم } فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر لا يجلس عندهم ، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك ، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم أو حضر بغير اختياره ، ولهذا يقال حاضر المنكر كفاعله .

وفي الحديث : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر) وهذا الهجر من جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال : (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإســلام والإيمــان فإنه هجر للمقــام بين الكــافرين والمنــافقين الــذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ومن هـــذا قوله تعـــالى : { والرجز فاهجر } .

النوع الثاني : الهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكـرات ، يهجر حـتى يتـوب منها كما هجر النبي الثلاثة الذين خلفوا حـتى أنزل الله توبتهم ، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر . ولم يهجر من أظهر الخــير وإن كــان منافقا ، فهنا الهجــرة بمنزلة التعزير ، والتعزير يكــون لمن ظهر منه تــرك الواجبــات وفعل المحرمــات كــترك الصــلاة والتظاهر بالمظـالم والفـواحش والـداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجمـاع سـلف الأمة التي ظهر أنها بدع وهذا حقيقة قــول من قال من السلف والأئمة أن الـدعاة إلى البـدع لا تقبل شــهادتهم ولا يصــلى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون فهذه عقوبة لهم حتى ينتهــوا . ولهــذا يفرقــون بين الداعية وغــير الداعية ، لأن الـــدعاة أظهـــروا المنكـــرات فاســـتحقوا العقوبة بخلاف الكـــاتم فإنه ليس

شـرا من المنـافقين الـذين كـان النـبي يقبل علانيتهم ويكل سـرائرهم إلى الله عز وجل مع علمه بحال كثير منهم .

ولهـذا جـاء في الحـديث أن المعصـية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضــرت العامة وذلك لأن النــبي قــال : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغـيروه أوشك أن يعمهم الله بعقـاب منه) . فـإن المنكـرات الظـــاهرة يجب إنكارها بخلاف الباطنة فـــإن عقوبتها على صاحبها خاصة .

وهذا الهجر يختلف بإختلاف الهـاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فأن المقصود به زجر المهجـــور وتأديبه ورجـــوع العامة عن مثل حاله فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجــره إلى ضــعف الشر وخفيته كـان مشـروعا ، وإن كـان المهجـور وغـيره لا يرتــدع بــذلك بل يزيد الشر والهــاجر ضــعيف بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف .

ولهذا كان النبي يتألف قوما ويهجر قوما آخرين ، وقد تكون المؤلفة قلوبهم أشر حالا في الدين من المهجورين ، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من أكثر المؤلفة قلوبهم ولكن أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم . وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنون سواهم كثير فكان في هجرهم تأييد الدين وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح .

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع وبين ما ليس كذلك ويفرق بن الأئمة المطاعين وغيرهم . وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه ، وإذا عرف هذا فالهجرة الشرعية هي الأعمال التي أمر الله بها ورسوله فالطاعة لابد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره ، فتكون خالصة لله صوابا ، فمن هجر لهوى نفسه أو

هجر هجرا غير مـأمور به كـان خارجا عن هـذا وما أكثر ما تفعل النفـوس ما تهـواه ظانة أنها تفعله طاعة لله .

والهجر لأجل حظ الإنسـان لا يجـوز أكـثر من ثلاث كما جاء في الصـحيحين عن النـبي أنه قال : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فـوق ثلاث يلتقيـان يصد هـذا ويصد هـذا وخيرهما الـذي يبـدأ بالسـلام) . فلم يـرخص في هـذا الهجر أكثر من ثلاث . وفي الصـحيح عنه أنه قـال : (تفتح أبـواب الجنة كل اثـنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشـرك بالله شـيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حـتى يصـطلحا) . فهـذا الهجر لحق الإنسـان حـــرام ، وإنما رخص في بعضه ، كما رخص للزوج أن يهجر امرأته في المضجع إذا نشـزت وكما رخص في هجر الثلاث فينبغي أن يفـرق بين الهجر لحق لله وبين الهجر لحق نفسه فـالأول مأمـور به والثـاني منهي عنه لأن المؤمنين إخوة ، وهذا لأن الهجر من العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سـبيل الله وهـذا يفعل لأن تكـون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله .

والمؤمن عليه أن يعـادي في الله ويـوالي في الله فإن كان هناك مـؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه فـــــإن الظلم لا يقطع المـــــوالاة الإيمانية ، قال الله تعـالى : { وإن طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحـداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حـتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقســطين . إنما المؤمنــون إخــوة } فجعلهم اخــوة مع وجــود القتـال والبغي وأمر بالإصلاح بينهم .

فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النـوعين فما أكثر ما يلتبس أحدهما بـالآخر ، وليعلم أن المــــؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتـــدى عليك ، والكـــافر تجب معاداته وإن أعطـــاك وأحسن إليك فــإن الله ســبحانه بعث الرسل وأنــزل الكتب ليكــون الــدين كله لله فيكــون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكـــــــرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثـــــــواب لأوليائه والعقـــــــاب لأعدائه ، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وتقى وفجور وطاعة ومعصية وســنة وبدعة اســتحق من المــوالاة والثــواب

بقدر ما فيه من الخـير واسـتحق من المعـاداة والعقـــاب بقـــدر ما فيه من الشر فيجتمع في الشـــخص الواحد موجبـــات الإكـــرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا كـاللص الفقـير تقطع يده ويعطى من بيت المـــال ما يكفيه لحاجته . هـــذا هو الأصل الـــذي اتفق عليه أهل الســـنة والجماعة . انتهى كلامه رحمه الله تعـــــــالى ملخصا وفيه فوائد جليلة ليست في كلام غيره من العلمـاء الـذين تقـدم ذكـرهم فليتأمل من أوله إلى آخـــره فما أحســـنه وأنفعه في هـــذا الباب .

فصل

وقد جـاء في هجر أهل المعاصي أحـاديث وآثـــار عن الصـــحابة والتـــابعين وأئمة العلم والهدى من بعـدهم وأنا أذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الأحـــاديث عن النـــبي فـــالأول : منها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن النبي في غزوة تبوك قـال : ونهى

رسـول الله المسـلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغـيروا لنا حتى تنكـرت لي في نفسي الأرض فما هي بـــالأرض الـــتي كنت أعـــرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيـــــان وأما أنا فكنت أشد القـــــوم وأجلـدهم فكنت أشـهد الصـلاة مع المسـلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله وهو في مجلسه بعد الصـــلاة فأســـلم وأقـول في نفسي أحـرك شـفتيه بـرد السـلام علي أم لا ثم أصلّي قريبا منه وأسـارقه النظر فـإذا أقبلت على صـلاتي نظر إلي فـإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طـال علي ذلك من هجر المسـلمين مشـيت حـتى تسـورت حائط أبي قتـــادة وهو ابن عمي وأحب النـــاس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له يا أبا قتـادة أنشـدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قـال فسـكت فعـدت له فنشـدته فسكت فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم قـــال : ففاضت عينـــاي . وذكر تمـــام الحديث رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي مطولا ومختصرا .

الحديث الثاني : عن عائشة رضي الله عنها أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي رضي الله عنها وعند زينب فضل ظهر فقـــال رســـول الله لـزينب : (أعطيها بعـيرا) فقـالت : أنا أعطي تلك اليهودية ، فغضب رسول الله فهجرها ذا الحجة والمحـرم وبعض صفر . رواه أبو داود .

الحـــديث الثـــالث : عن أنس بن مالك أن رسول الله خرج فرأى قبة مشرفه فقال : (ما هذا) قال له أصحابه : هذه لفلان رجل من الأنصار قال : فسـكت وحملها في نفسه حـتى إذا جاء صـاحبها رسـول الله يسـلم عليه في الناس أعرض عنه صنع ذلك مرارا حتى عـرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكى ذلك إلى أصـحابه فقـال : والله إني لأنكر رســول الله قالوا خرج فرأى قبتك قال فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حـتى سـوّاها بـالأرض فخـرج رســول الله ذات يــوم فلم يرها قــال : (ما فعلت القبة) قـــالوا : شـــكى إلينا صـــاحبها إعراضك عنه ، فأخبرناه فهـدمها فقـال : (أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلاّ مالا إلاّ مالا) يعني مالا بد منه رواه أبو داود .

الحــديث الرابع : عن عمــار بن ياسر رضي الله عنه قــــال : قـــــدمت على أهلي ليلا وقد تشققت يداي فخلّقوني بزعفران فغدوت على رسول الله فسلمت عليه فلم يــرد علي ولم يرحب بي فقـال : (اذهب فاغسل هـذا عنك) فـــذهبت فغســـلته ثم جئت وقد بقي عليّ منه ردع فســـلمت فلم يـــرد عليّ ولم يـــرحب بي وقال : (اذهب فاغسل أثر هذا عنك) فذهبت فغســـلته ثم جئت فســـلّمت عليه فـــرد علي ورحب بي وقـــــــال : (إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ولا المتضمخ بالزعفران ولا الجنب) رواه أبو داود الطيالسي وأبو داود السجستاني وهذا لفظه .

الحديث الخامس : عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قــال : مر النــبي على قـــوم فيهم رجل متخلق بخلــوق فنظر إليهم وســـلم عليهم وأعـــــرض عن الرجل فقـــال الرجل : أعرضت عني قال : (بين عينيك جمرة) رواه البخاري في الأدب المفرد .

الحـديث السـادس : عن عمـرو ابن شـعيب عن أبيه عن جـــده رضي الله عنه أن رجلا أتى

النبي وفي يده خاتم من ذهب فأعرض النبي عنه فلما رأى الرجل كراهيته ذهب فـــألقى الخاتم وأخذ خاتما من حديد فلبسه وأتى النبي قال : (هذا شر ، هذا حلية أهل النار) فرجع فطرحه ولبس خاتما من ورق فســـكت عنه النـــبي . رواه الإمـــام أحمد والبخـــاري في الأدب المفرد .

الحـديث السـابع : عن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه قـال : أقبل رجل من البحـرين إلى النـبي فسـلم عليه فلم يـرد وفي يـده خـــاتم من ذهب وعليه جبة حرير ، فـــانطلق الرجل محزونا فشـــكى إلى إمرأته فقـــالت : لعل برســـول الله جبتك وخاتمك فألقهما ثم عـاد ، ففعل فـرد السـلام وقـال : جئتك آنفـاً فأعرضت عني قال : (كان في يدك جمر من نـــار) رواه النســـائي والبخـــاري في الأدب المفـــرد وهـــذا لفظه . وقد تـــرجم على هـــذا الحـــديث والحـــديثين قبله بقوله : (بـــاب من ترك السلام على المتخلق وأصحاب المعاصي) .

الحديث الثامن : عن عبد الله بن عمـرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مر على النبي

رجل عليه ثوبان أحمران فسلم فلم يرد النـبي . رواه أبو داود والترمـــذي والحـــاكم وقـــال الترمـذي : هـذا حـديث حسن غـريب . وقـال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجــاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الحــديث التاسع : عن أبي ســعيد الخــدري رضي الله عنه عن النبي قـال : (لا تصـاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه الإمـــــــام أحمد وأبو داود الطيالسي وأبو داود السجستاني والترمذي والدارمي وابن حبــان ، والحاكم وقال : صحيح الإســناد ولم يخرجـاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الحــديث العاشر : عن عمــران بن حصــين رضي الله عنه قـــال : نهى رســول الله عن إجابة طعــام الفاســقين . رواه الطــبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في شعب الإيمان .

الحــديث الحــادي عشر : عـن ابن مســعود رضي الله عنه مرفوعا : تقربــــــوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، والقـــــوهم بوجــــوه مكفهره والتمسوا رضا الله بسخطهم وتقربـوا

إلى الله بالبعد منهم . رواه ابن شـــاهين وفي رفعه نظر والأشـبه أنه من قـول ابن مسـعود رضي الله عنه ، وقد روي نحو هـــذا من كلام عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام .

قـال الإمـام أحمد رحمه الله تعـالى في الزهد : حدثنا سيار حدثنا جعفر أبو غالب قـال : بلغنا أن هـــذا الكلام في وصـــية عيسى بن مـــريم عليهما الســلام : يا معشر الحـــواريين تحببـوا إلى الله عز وجل ببغض أهل المعاصي وتقربـوا إليه بـالمقت لهـم والتمسـوا رضـاه بسـخطهم قـالوا : يا نـبي الله فمن نجـالس . قـال : جالسـوا من يزيد في أعمـالكم منطقه ومن تذكركم بالله رؤيته ويزهـدكم في دنيـاكم عمله .

الحـديث الثـاني عشر : عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : للجهاد أربعة شعب ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصـدق في المواطن وشـنآن الفاسـقين . أي بغضـهم وعـــــداوتهم . رواه أبو نعيم في الحلية وفي رفعه نظر والأشـــبه أنه من قـــول علي رضي الله عنه .

الحديث الثالث عشر : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله قـال : (إذا مـررتم بهـؤلاء الـذين يلعبـون بهـذه الأزلام ، الـنرد والشـطرنج وما كـان من اللهو فلا تسـلموا عليهم) رواه أبو بكر الآجري وفي رفعه نظر .

فصل

وأما الآثـار عن الصـحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم فقد تقدم طرف منها وهو ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه هجر ابنه لما عـارض السـنة برأيه . وما روي عنه أيضا أنه هجر الرجل الـذي خـذف بعـدما علم أن النبي ﷺ كان ينهى عن الخذف .

وما روي عن عبـادة بن الصـامت وأبي الـدرداء رضي الله عنهما من هجر معاوية رضي الله عنه لما عـارض السـنة برأيه ، وما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه هجر الرجل الذي ضحك في الجنازة .

وما روي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه هجر الرجل الـذي خـذف بعـدما علم أن النـبي ﷺ كـان ينهى عن الخـذف ، وما رواه الـدارمي عن خـراش بن جبـير أن شـيخا من أصـحاب النـبي ﷺ هجر الفـتى الـذي خـذف بعدما علم أن النبي ﷺ كـان ينهى عن الخـذف ، وما رواه الدارمي أيضا عن سعيد بن جبـير أنه هجر الـذي ظهر منه التهـاون بحـديث رسـول

الله . وما رواه الـــــــــدارمي أيضا عن ابن ســيرين أنه هجر الرجل الــذي عــارض قــول النبي بقول غيره .

وما ذكره أبو داود عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعـــالى أنه غطى وجهه عن رجل ، وما ذكـــره ابن مفلح عن الإمـــام أحمد رحمه الله تعـالى فيمن تـرك السـنة مع العلم بها أنه يهجر .

وروى البخـــاري في الأدب المفـــرد عن الحسن أنه قـــــال : ليس بينك وبين الفاسق حرمة . وقال البخـاري أيضا في الأدب المفـرد : (بــاب : لا يســلم على فاسق) وســاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لا تسلموا على شراب الخمر . وقد أورد البخـــاري رحمه الله تعـــالى هـــذا الأثر معلقا بصيغة الجزم .

وروى ســـعيد بن منصـــور عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لا تسلموا على من شرب الخمر ولا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا عليهم إذا مــاتوا . وقــال البخــاري في الأدب

المفرد : باب عيادة الفاسق ثم ساق بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا .

ويدخل في شراب الخمر شراب الدخان الخبيث المسمى بالتتن والجراك لأنه قد ثبت إسكاره وتفتيره فلا يسلم على من يشربه ولا يعاد إذا مرض . وقد قال المروذي : قلت لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل رجل له والد بين يديه مسكر فيدعو ولده ترى له أن يجيب ، قال : لا يدخل عليه .

وقال المروذي أيضا : سألت أبا عبد الله عن الرجل يكون له الأخ يشرب المسكر ترسله والدته يدعو لها من الموضع الذي هو فيه ترى أن يذهب قال : نعم ، لا يدعه يتزيد ولكن لا يدخل ، يقوم خارجا .

وقال البخاري رحمه الله تعالى في الأدب المفرد : (باب من لم يسلم على أصحاب النرد) ثم ساق عن الفضيل بن مسلم عن أبيه قال : كان علي رضي الله عنه إذا خرج من باب القصر فرأى أصحاب النرد انطلق

بهم فعقلهم من غــدوة إلى الليل ، ومنهم من يعقل إلى نصف النهار قال : وكان الـذي يعقل إلى الليل الذين يعـاملون بـالورق وكـان الـذي يعقل إلى نصف النهار الـذين يلهـون بها وكـان يأمر أن لا يسلموا عليهم .

وقال أبو داود في كتـاب المسـائل قـال : حـدثنا أبو بكر بن أبي شـيبة قـال حـدثنا جرير عن أسلم المنقري قال : كان سـعيد بن جبـير إذا مر على أصحاب النردشير لم يسلم عليهم .

وقــال أيضا حــدثنا أبو بكر بن أبي شــيبة قال : حدثنا محمد بن فضــيل عن يزيد بن أبي زيــاد عن زيــاد بن حــدير أنه مر على قــوم يلعبــون بــالنرد فســلم عليهم وهو لا يعلم ثم رجع فقال : ردوا علي سلامي .

وقــال أيضا : حــدثنا وهب بن بيــان قــال حدثنا ابن وهب . وحدثنا ابن سرح قال : حدثنا ابن وهب عن عبد الله بن المســيب عن يزيد بن يوسف أنه ســأل يزيد بن أبي حــبيب عن الشطرنج فقال : لو مررت على قـوم يلعبـون بالشطرنج ما سلمت عليهم .

قلت ومثل اللاعــبين بــالنرد والشــطرنج اللاعبـــون في زماننا بالجنجفة والكـــيرم وما أشـــبه ذلك مما يلهي ويصد عن ذكر الله وعن الصـلاة فلا يسـلم عليهم ولا يسـلم أيضا على اللاعبين بـالكرة لأنها من أعظم ما يلهي ويصد عن ذكر الله وعن الصـــلاة وفيها من المفاسد نحو مافي النرد والشطرنج أو أعظم .

وقـــــــال أبو داود أيضا : قلت لأحمد أمر بالقوم يتقـاذفون أسـلم عليهم , قـال : هـؤلاء قــوم سـفهاء والسـلام اسم من أسـماء الله تعالى . وقال أبو داود أيضا : قلت لأحمد أسلّم على المخنث قـال : لا أدري السـلام اسم من أسماء الله تعالى .

قلت : ظـــاهر هـــاتين الروايـــتين كراهة السـلام على المخنث وعلى الـذين يتقـاذفون لأن ترك السلام عليهم فيه تعظيم لأسماء الله تعـالى وصـيانة لها عن الابتـذال , والمخنث هو المؤنث الذي يتشبه بالنساء . ومن هـذا البـاب حلق اللحى فمن حلق لحيته فهو من المخنثين لأنه قد رغب عن مشابهة الرجال وآثر مشابهة

النسـاء في نعومة الخـدود وعــدم الشـعر في الوجه , وفاعل ذلك لا ينبغي الســــــلام عليه لمجاهرته بالمعصية .

وقد روى أبو نعيم في الحلية بإســناد جيد عن زياد بن حدير قـال : قـدمت على عمر بن الخطـــــاب رضي الله عنه وعليّ طيلســــان وشاربي عاف فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ ولم يـــرد علي الســـلام فانصـــرفت عنه فــأتيت ابنه عاصــما فقلت له : لقد رميت من أمـير المؤمـنين في الـرأس فقـال : سـأكفيك ذلك , فلقي أبــاه فقــال : يا أمــير المؤمــنين أخوك زياد بن حدير يسلم عليك فلم تـرد عليه السـلام ، فقـال : إني قد رأيت عليه طيلسـانا ورأيت شـــــاربه عافيا , قـــــال : فرجع إلي فـأخبرني فـانطلقت فقصصت شـاربي وكـان معي بـرد شـققته فجعلته إزار ورداء ثم أقبلت إلى عمر رضي الله عنه فسلمت عليه فقـال : وعليك السلام هذا أحسن مما كنت فيه يا زياد .

وإذا كان عمر رضي الله عنه قد هجر زياد بن حــدير على إعفائه لشــاربه فكــذلك ينبغي

هجر من حلق لحيته لأن كل من الأمـــــــرين معصـــــية ظـــــاهره لما فيهما من مخالفة أمر رسول الله ﷺ بإحفاء الشوارب وإعفـاء اللحى , ولما فيهما أيضا من التشـــبه بـــالمجوس ومن يحذو حذوهم من أصناف المشركين .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : (من تشبه بقــوم فهو منهم) رواه الإمــام أحمد وأبو داود وغيرهما من حـديث ابن عمر رضي الله عنهما . والهجر على حلق اللحية أولى من الهجر على إعفــاء الشــارب لما في حلق اللحية من مزيد التشـــبه بالنســاء والدخـــول في عـــداد المخنـــثين , وقد لعن رســول الله ﷺ المخنـــثين من الرجال . رواه الإمـام أحمد والبخـاري وأبو داود وغيرهم من حديث ابن عبــاس رضي الله عنهما . وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رواية حنبل : إذا علم من رجل أنه مقيم على معصـية لم يـأثم إن هو جفـاه حـتى يرجع وإلا كيف يتـــــبين للرجل ما هو عليه إذا لم ير منكرا عليه ولا جفوة من صديق .

ونقل حنبل أيضا عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال : ليس لمن قارف شيئا من

الفــواحش حرمة ولا وصــلة إذا كــان معلنا . وقال الخلال في كتـاب المجانبة : أبو عبد الله يهجر أهل المعاصي ومن قـــارف الأعمـــال الرديئة أو تعدى حـديث رسـول الله وأما من سـكر أو شـرب أو فعل فعلا من هـذه الأشـياء المحظـــــورة ثم لم يكاشف بها ولم يلق فيها جلبــاب الحيــاء فــالكف عن أعراضــهم وعن المســلمين والإمســاك عن أعراضــهم وعن المســلمين أســلم . نقله عنه ابن مفلح في الآداب الشــرعية . وروى عبدالله بن الإمــام أحمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري أنه قـــال : ثلاثة لا غيبة لهم ، الإمـــام الخـــائن وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هـواه والفاسق المعلن فسقه .

قـال شـيخ الإسـلام أبو العبـاس ابن تيمية رحمه الله تعـالى في الفتـاوى المصـرية : من أظهر المنكر وجب الإنكـــــار عليه وأن يهجر ويـذم على ذلك فهـذا معـنى قـولهم من ألقى جلبـــاب الحيـــاء فلا غيبة له بخلاف من كـــان مسـتترا بذنبه مسـتخفيا فـإن هـذا يسـتر عليه لكن ينصح سرا ويهجـره من عـرف حاله حـتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة .

وقال الشيخ أيضا في موضع آخر : من فعل شيئا من المنكرات كالفواحش والخمر والعدوان وغير ذلك فإنه يجب الإنكار عليه بحسب القدرة كما قال النبي ﷺ : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) فإن كان الرجل متسترا بذلك وليس معلنا له أنكر عليه سرا وستر عليه كما قال النبي ﷺ : (من ستر عبدا ستره الله في الدنيا والآخرة) إلا أن يتعدى ضرره والمتعدي لابد من كف عدوانه وإذا نهاه المرء سرا فلم ينته فعل ما ينكف به من هجر وغيره إذا كان ذلك أنفع في الدين ، وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية ولم يبقى له غيبة ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره فلا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام إذا كان الفاعل لذلك متمكنا من ذلك من غير مفسدة راجحة .

وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتا كما هجروه حيا إذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين فيتركون تشييع جنازته كما ترك النبي ﷺ الصلاة على غير واحد من أهل الجرائم

, وكما قيل لسمرة بن جندب رضي الله عنه : إن ابنك لم ينم البارحـة بشما فقال : لو مــات لم أصل عليه . لأنه أعــــــان على قتل نفسه فيكون كقاتل نفسه ، وقد ترك النبي الصـلاة على قاتل نفسه , وكذلك هجر الصحابة الثلاثة الــذين ظهر ذنبهم في تــرك الجهــاد الــواجب حتى تـاب الله عليهم ، فـإذا أظهر التوبة أظهر له الخير اهـ .

وحديث سمرة الــذي ذكــره الشــيخ رحمه الله تعـــالى رواه الإمـــام أحمد في الزهد من طريق الحسن قــال : قيل لســمرة رضي الله عنه فذكره ، فإن قيل فما الفرق بين المستتر الـذي لا يجـوز هجـره وبين المعلن الـذي يسن هجره ؟ .

فـــالجواب ما قاله ابن عبد القـــوي : أن المســتتر بــالمنكر هو من فعله بموضع لا يعلم به غالبا غـير من حضـره إما لبعـده أو نحــوه ، وأما من فعله بموضع يعلم به جيرانه ولو في داره فإن هذا معلن مجاهر غير مستتر اهـ .

وهــذا تفريق حسن ينبغي اعتبــاره وعلى هذا فإذا كانت الدار يسمع منها الغناء وأصوات الملاهي فصاحبها معلن مجاهر يسن هجـره أو يجب . وكــذلك إذا كــانت آلات اللهو أو أواني الخمر أو أوعية الدخان الخبيث أو آلات شــربه تــرى في الــدار لا يخفيها صــاحب الــدار عن الــداخلين أو كـانت رائحة الـدخان الخـبيث أو غيره من المسكرات توجد من فيِّ أحد أو من بيته فصاحب ذلك معلن مجاهر يسن هجـره أو يجب ، وكذلك إذا كان الرجل يســلم على أهل البدع أو يماشـيهم أو يجالسـهم ويـأنس بهم أو يـدخل عليهم في بيـوتهم أو يـدخلون عليه في بيته وهو عــالم بحــالهم فإنه معلن مجــاهر بالمعصية يسن هجره أو يجب .

قــــال أبو داود : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل أرى رجلا من أهل الســــنة مع رجل من أهل البـدع أتـرك كلامه قـال : لا أو تعلمه أن الرجل الـذي رأيته معه صـاحب بدعة فـإن ترك كلامه وإلا فألحقه به .

وقال ابن مسـعود رضي الله عنه : المـرء بخدنه . وقــــال عبدالله بن محمد بن الفضل الصــيداوي : قــال لي أحمد إذا ســلم الرجل

على المبتــدع فهو يحبه ، قــال النــبي : (ألا أدلكم على ما إذا فعلتمــوه تحــاببتم ، أفشــوا السلام بينكم) .

فصل في ذكر الأحاديث الواردة في هجر أهل البدع

قال أبو داود في سننه : حـدثنا موسى بن إسـماعيل حـدثنا عبدالعزيز بن أبي حـازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي قال : (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضـوا فلا تعودوهم وإن مـاتوا فلا تشـهدوهم) ورواه الحـاكم في مسـتدركه عن أبي بكر أحمد بن سـليمان بن الحسن الفقيه حـدثنا أبو داود سـليمان بن الأشـعث فـذكره ثم قـال : هـذا حـديث صـحيح على شـرط الشـيخين إن صح سـماع أبي حـازم من ابن عمر ولم يخرجه . ووافقه الـذهبي في تلخيصه . وقـال المنـذري هـذا منقطع ، أبو حـازم سـلمة بن دينـار لم يسـمع من ابن عمر . وقد روي هـذا الحـديث من طـرق عن ابن عمر ليس فيها شـيء يثبت . انتهى .

وقد رواه أبو بكر الآجري من طريقين عن أبي حـازم عن نـافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ولكن قـال أبو داود : أن الإمـام أحمد رحمه الله تعالى أنكـره من حـديث أبي حـازم

عن نـــافع . ورواه الآجـــري أيضا من طريق الجعيد بن عبد الرحمن عن نـافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال : قـال رسـول الله : (أنه يكون في آخر الزمان قوم يكـذبون بالقـدر ألا وأولئك مجوس هـذه الأمة فـإن مرضـوا فلا تعــودوهم وإن مــاتوا فلا تشــهدوهم) ورواه الطبراني في الصغير من حديث الجعيد به .

وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثـير أخبرنا سـفيان عن عمـرو بن محمد عن عمر مـولى غفـــرة عن رجل من الأنصـــار عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله : (لكل أمة مجــوس ومجــوس هــذه الأمة الــذين يقولــون لا قــدر ، من مــات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعــودوهم وهم شيعة الــدجال وحق على الله أن يلحقهم بالـــــدجال) . ورواه أبو داود الطيالسي في مسـنده فقـال : حـدثنا أبو عتبة قـال : حـدثنا عمر مــولى غفــرة من أهل المدينة عن رجل من الأنصـار من بـني عبد الأشـهل عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن النبي قال : (سيكون في آخر الزمان قوم يقولـون لا قـدر ، فـــإن مرضـــوا فلا تعـــودوهم وإن مـــاتوا فلا

تشهدوهم فإنهم شيغة الـدجال وحق على الله أن يلحقهم به) ورواه عبد الله بن الإمـــــام أحمد في كتاب السـنة عن أبيه عن مؤمل عن عمر مولى غفرة بنحوه . قال المنـذري : عمر مولى غفرة لا يحتج بحديثه ورجل من الأنصـار مجهـــول وقد روي من طريق آخر عن حذيفة ولا يثبت اهـ .

وقال ابن ماجة في سننه حـدثنا محمد بن المصــفى الحمصي حـــدثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جـــريج عن أبي الزبـــير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قـال : قـال رســـول الله : (إن مجـــوس هـــذه الأمة المكذبون بأقدار الله ، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن مـــاتوا فلا تشـــهدوهم وإن لقيتمـــوهم فلا تسلموا عليهم) . ورواه الطبراني في الصغير عن عبد الله بن الصقر السكري عن محمد بن المصفى . ورواه الآجـري في كتـاب الشـريعة عن الفريـــابي عن محمد بن المصـــفى ، وقد أعل هذا الحديث بـأن بقية بن الوليد عنعنه مع كثرة تدليسه .

وروى الآجـري من طـريقين عن مكحـول عن أبي هريــــرة رضي الله عنه نحـو حـــديث

جـــــــــــابر وابن عمر رضي الله عنهم وأعل بالإنقطاع . قـال ابن القيم رحمه الله تعـالى : لم يســمع مكحــول من أبي هريــرة رضي الله عنه ، قال وأجود ما في الباب حديث حيوة بن شريح أخــبرني أبو صــخر حــدثني نــافع أن ابن عمر رضي الله عنهما جــاءه رجل فقــال : إن فلانا يقرأ عليك السلام ، فقال : إنه قد بلغــني أنه قد أحــدث فــإن كــان قد أحــدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله يقول : (يكــون في هــذه الأمة أو في أمــتي خسف أو مسخ أو قذف في أهل القــدر) رواه الترمــذي وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

قلت وقد رواه ابن ماجة في ســــــننه من حديث حيــوة بن شــريح عن أبي صــخر وعنــده بــالواو في قوله مسخ وخسف وقـــذف فأفــاد أن (أو) في رواية الترمــذي بمعــنى (الــواو) وليست للشك .

ورواه الــدارمي في ســننه فقــال : أخبرنا أبو عاصم أخبرنا حيــوة بن شــريح حــدثني أبو صــخر عن نــافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه جـــاءه رجل فقـــال : إن فلانا يقـــرأ عليك

السلام ، قال : بلغني أنه قد أحدث ، فإن كـان أحـدث فلا تقـرأ عليه السـلام . ورواه الإمـام أحمد في مسـنده فقـال : حـدثنا هـارون بن معـروف أخبرنا عبد الله بن وهب أخـبرني أبو صـخر عن نـافع قـال : بينما نحن عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قعـودا إذ جـاء رجل فقـال : إن فلانا يقـرأ عليك السـلام لرجل من أهل الشـام فقـال : عبد الله رضي الله عنه بلغـني أنه أحـدث حـدثا فـإن كـان كـذلك فلا تقرأنَّ عليه مني السلام سمعت رسـول الله يقـول : (إنه سـيكون في أمـتي مسخ وقـذف وهو في الزندقية والقدرية) .

وقـال الإمـام أحمد أيضا حـدثنا أبو عبد الـرحمن بن يزيد حـدثنا سـعيد يعـني ابن أبي أيـوب حـدثني أبو صـخر عن نـافع قـال : كـان لابن عمر رضي الله عنهما صـديق من أهل الشام فكتب إليه مـرة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه بلغـني أنك تكلمت في شـيء من القـدر فإيـاك أن تكتب إلي فـإني سـمعت رسول الله يقول : (سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر) ورواه أبو داود في سننه وعبد الله بن الإمـام أحمد في كتـاب السـنة كلاهما عن أبي عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله

تعـــالى . ورواه الحـــاكم في مســـتدركه من طريق عبدالله بن الإمـام أحمد عن أبيه ، ومن طريق الســـري بن خزيمة كلاهما عن عبدالله بن يزيد المقـري به ، ثم قـال الحـاكم صـحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى الإمـام أحمد والبخـاري في التـاريخ وأبو داود وعبد الله بن الإمام أحمد وابن حبان في صـحيحه والحـاكم في مسـتدركه عن أبي هريـرة رضي الله تعـالى عنه عن عمر قـال : سـمعت رســول الله يقـول : (لا تجالســوا أهل القدر ولا تفاتحوهم) .

وروى ابن أبي حـــاتم عن عطـــاء بن أبي رباح قـال : أتيت ابن عبـاس رضي اللـه عنهما وهو يــنزع من زمــزم وقد ابتلت أســافل ثيابه فقلت له : قد تكلم في القــدر ، فقــال : أوقد فعلوها ، قلت : نعم ، قــال : فوالله ما نــزلت هذه الآية إلا فيهم : { ذوقـوا مس سـقر . إنا كل شيء خلقناه بقدر } أولئك شـرار هـذه الأمة فلا تعودوا مرضـاهم ولا تصـلوا على موتـاهم ، إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بإصبعي هاتين .

وقد كان سعيد بن جبير وإبـراهيم النخعي وغيرهما من أكـابر السـلف يهجـرون المرجئة ويجـانبوهم روى ذلك عنهم الإمـام أحمد وابنه عبد الله في كتـاب السـنة . وقـال محمد بن إبراهيم البوشـنجي : سـمعت أحمد رحمه الله تعـالى يقـول : تقربـوا إلى الله ببغض أهل الإرجـاء فإنه من أوثق الأعمـال عنـدنا . وقـال الخلال : حـدثنا إسـماعيل بن إسـحاق الثقفي النيسـابوري أن أبا عبد الله سـئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه ، قـال : لا ، وإذا سـلم عليه لا يرد عليه .

وقال أبو داود رأيت أحمد سلم عليه رجل من أهل بغـداد ممن وقف فيما بلغـني فقـال : أغـرب لا أرينك تجيء إلى بـابي . في كلام غليظ ولم يـرد عليه السـلام وقـال له : ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بصبيغ .

وقال أبو داود أيضا حدثنا حمزة بن سـعيد المـروزي قـال : قـال أبو بكر بن عيـاش من زعـم لك أن القـرآن مخلـوق فهو عنـدنا كـافر زنديق عدو لله لا تجالسه ولا تكلمه .

وقـــــال أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الخـالق الـوراق في كتـاب الـورع سـألت عبد الوهـاب يعـني الـوراق : يجـالس من لا يكفر الجهمية قال : لا يجالسون ولا يكلمـون المـرء على دين خليله . وروى أبو نعيم في الحلية عن اســماعيل الطوسي قـــال : قـــال ابن المبـارك : إيـاك أن تجلس مع صـاحب بدعة . وروى أبو نعيم أيضا عن عبد الله بن عمر السرخسي قال : إن الحارث قـال : أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ذلك ابن المبارك فقال : لا كلمتك ثلاثين يوما .

وقـال الإمـام أحمد رحمه الله تعـالى في رواية عبدوس بن مالك العطار : أصول السـنة عنـدنا التمسك بما كـان عليه أصـحاب رسـول الله والاقتــداء بهم وتــرك البــدع وكل بدعة فهي ضـلالة وتـرك الخصـومات والجلـوس مع أصحاب الأهواء ، وذكر تمام الرسالة .

وقـال أبو داود في سـننه : (بـاب مجانبة أهل الأهواء) وساق في الباب ثلاثة أحاديث :

الحــديث الأول : حــديث عائشة رضي الله عنها قالت : قرأ رسول الله هذه الآية : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمـات } إلى قوله تعـالى : { أولـوا الألبـاب } قـالت : فقـال رسـول الله : (فـإذا رأيتم الـذين يتبعـون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) وقد رواه الإمـــام أحمد وأبو داود الطيالسي والشـــيخان والترمـــذي وابن ماجة وابن جرير وابن حبان وغيرهم .

الحـديث الثـاني : حـديث أبي ذر رضي الله عنه قـــال : قـــال رســـول الله : (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله) وقد رواه الإمام أحمد وتقدم ذكره .

الحديث الثالث : طرف من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه المخــرج في الصــحيحين وغيرهما في قصة تخلفه عن النــــــبي في غـــزوة تبـــوك قـــال : ونهى رســـول الله المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة .

ثم قال أبو داود : (باب ترك السلام على أهل الأهواء) وساق في الباب حديثين :

الحديث الأول : حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه في قصة الخلـــوق بـــالزعفران وقد تقـــدم ذكـــره مع الأحـــاديث في هجر أهل المعاصي .

الحـديث الثـاني : حـديث عائشة رضي الله عنها في هجر النبي لزينب بنت جحش رضي الله عنها وتقـــدم أيضا مع الأحـــاديث في هجر أهل المعاصي .

والاســتدلال بهــذين الحــديثين على تــرك السـلام على أهل الأهـواء وبحـديث كعب على مجانبتهم في غاية القوة والمناسبة لأن الجميع مشــتركون في اسم المعصــية إلا أن معصــية هــؤلاء المــذكورين في هــذه الأحــاديث خفيفة بالنسبة لمعصية أهل الأهواء .

وإذا كـان النــبي قد هجر كعبا وصــاحبيه وجانبهم وأمر أصحابه بهجـرهم ومجـانبتهم من أجل تخلفهم عن الجهـاد الـواجب عليهم وهجر زينب وجانبها من أجـل القـول الـذي قالته في حق صفية .

ولم يــرد الســلام على عمــار من أجـــل الخلوق الذي كـان في يديه ، فهجر أهل البـدع ومجانبتهم مطلوبة بطريق الأولى والأحرى لأن ضـررهم على الاسـلام والمسـلمين أعظم من ضرر أهل المعاصي والله أعلم .

وقد روى أبو بكر الآجري بإسناده عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنه قـال : لا تجـالس أهل الأهـواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب . وروى أيضا بإسناده عن أبي قلابة أنه قــال : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمســوكم في الضــلالة أو يلبســوا عليكم في الـــــــدين بعض ما لبس عليهم . وقد رواه الدارمي في سننه بنحوه .

وروى محمد بن وضـــــاح بإســــناده عن الحسن أنه قال : لا تجالس صـاحب بدعة فإنه يمــرض قلبك . وروى الــدارمي في ســننه عن الحسن وابن ســيرين أنهما قــالا : لا تجالســوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولاتسـمعوا منهم . وروى الدارمي أيضا عن أبي جعفر محمد بن علي وقـال : لا تجالسـوا أصـحاب الخصـومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله .

وروى محمد بن وضـــــاح بإســــناده عن ابراهيم أنه قال : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخـاف أن ترتد قلـوبكم . وروى بإسناده أيضا عن سفيان الثوري أنه قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحــدى ثلاث إما أن يكـون فتنة لغـيره وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار وإما أن يقـول والله ما أبــالي ما تكلمــوه وإني واثق بنفسي فمن أَمِـن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه .

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تبلـــــون نفسك بهن لا تـــــدخل على الســـلطان وإن قلت آمـــره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصغين بسمعك لذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه .

وروى محمد بن وضـــــاح بإســــناده عن الأوزاعي قـال : كـانت أسـلافكم تشـتد عليهم ألســنتهم وتشــمئز منهم قلــوبهم ويحــذرون الناس بدعتهم . وروى أيضا قال : أخبرني غير

واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : إياك أن يكـون لك من أهل البـدع أخ أو جليس أو صـــــاحب فإنه جـــــاء الأثر : من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصـمة ووكل إلى نفسه ومن مشى إلى صـــاحب بدعة فقد مشى في هـدم الإسـلام وقد وقعت اللعنة من رسول الله على أهل البــدع وأن الله لا يقبل منهم صـــرفا ولا عـــدلا ولا فريضة ولا تطوعا وكلما زادوا اجتهادا وصوما وصـلاة ازدادوا من الله بعدا ، فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعــدهم كما أبعـــدهم الله وأذلهم رســـول الله وأئمة الهدى بعده .

وقال الإمـام الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري رحمه الله تعـالى في شـــرح السنة : قال سـفيان الثـوري من أصـغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصـمة الله تعـالى ووكل إليها يعني البدع . وقال داود بن أبي هند أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أن لا تجالس أهل البدع فإن جالستهم فحـاك في صـدرك شـيء مما يقولـون لأكبنك في نار جهنم .

وقـال الفضـيل بن عيـاض : من جلس مع صـاحب بدعة لم يـؤت الحكمة . وقـال أيضا : من عظم صـاحب بدعة فقد أعـان على هـدم الإسـلام ومن تبسم في وجه مبتـدع فقد اسـتخف بما أنـزل الله عز وجل على محمد ﷺ ومن زوج كريمته بمبتـدع فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يـزل في سـخط الله حتى يرجع . انتهى ما ذكره البربهاري .

وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الصـمد بن يزيد قـال : سـمعت الفضـيل بن عيـاض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسـلام من قلبه . وروى أيضا عن عبد الصمد قال : سمعت الفضـيل يقـول : إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخـر . وروى أيضا عن عبد الصـمد قـال : سـمعت الفضيل بن عيـاض يقـول : من أعـان صـاحب بدعة فقد أعـان على هـدم الإسـلام . قـال وسمعت رجلا قـال للفضـيل : من زوج كريمته من فاسق فقـد قطع رحمها . قـال سـمعت فضيلا يقـول : نظر الرجل إلى صـاحب البدعة يورث العمى . قـال سـمعت الفضـيل يقـول :

من أتاه رجل فشـاوره فقصر علمه فدله على مبتدع فقد غش الإسلام .

وروى أبو نعيم أيضا عن عبد الصمد قال : سمعت الفضيل يقول : لإن آكل عند اليهـودي والنصـراني أحب إليَّ من أن آكل عند صـاحب بدعة فـإني إذا أكلت عنـدهما لا يقتدى بي وإذا أكلت عند صــاحب بدعة اقتــدى بي النــاس ، أحب أن يكون بيني وبين صاحب البدعة حصن من حديد ، وعمل قليل في سنة خير من عمل صاحب بدعة ، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، ومن جلس إلى صـــاحب بدعة فاحذره ، وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشـاوره في أمـرك ولا تجلس إليه فمن جلس إليه ورثه الله عز وجل العمى وإذا علم من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجـوت أن يغفر الله له وإن قل عمله فـــــإني أرجو له لأن صاحب السنة يعرض كل خير وصـاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل وإن كثر عمله .
قال : وسمعت الفضيل يقول : أن لله عز وجل ملائكة يطلبـون حلق الـذكر ، فـانظر مع من يكـون مجلسك لا يكـون مع صـاحب بدعة فـإن الله تعـالى لا ينظر إليهم وعلامة النفـاق

أن يقـــــوم الرجل ويقعد مع صـــــاحب بدعة , وأدركت خيار النـاس كلهم أصـحاب سـنة وهم ينهـــون عن أصـــحاب البدعة . وروى أبو نعيم أيضا عن عبد الصـمد قـال : سـمعت الفضـيل يقـــــول : من علامة البلاء أن يكـــــون الرجل صاحب بدعة .

وروى أبو الفرج ابن الجوزي بإسـناده إلى سفيان الثوري أنه قال : من سـمع من مبتـدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة . وروى أيضا بإسـناده إلى الفضـيل بن عيـاض أنه قـال : من جلس إلى صــاحب بدعة فاحــذره . وروى أيضا بإســناده إلى الفضيل أنه قـال : من أحب صـاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . وروى أيضا بإسناده إلى الفضيل أنه قــال : إذا رأيت مبتــــدعا في طريق فخذ في طريق آخر ولا يرتفع لصـــــــاحب بدعة إلى الله عز وجل عمل ومن أعان صـاحب بدعة فقد أعـان على هدم الإسلام ومن زوج كريمته من مبتـدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صــــاحب بدعة لم يعط الحكمة وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصـاحب بدعة رجـوت أن يغفر الله

له سيئاته . قال ابن الجوزي رحمه الله تعـالى وقد روي بعض هذا الكلام مرفوعا . قـال وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله : (من وقر صـــاحب بدعة فقد أعـــان على هدم الإسلام) .

وقـــال محمد بن النضر الحـــارثي : من أصغى بسـمعه إلى صـاحب بدعة نـزعت منه العصـمة ووكل إلى نفسه . وقــال يــونس بن عبـــدالأعلى : قـــال الليث بن ســـعد لو رأيت صـــاحب بدعة يمشي على المــــاء ما قبلته . فقـال الشـافعي : إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته .

قــال ابن الجــوزي وحــدثت عن أبي بكر الخلال عن المــــروذي عن محمد بن ســـهل البخـاري قـال : كنا عند الفريـابي فجعل يـذكر أهل البدع فقال له رجل : لو حدثنا كان أعجب إلينا فغضب ، وقـــال : كلامي في أهل البـــدع أحب إلي من عبــادة ســتين ســنة . انتهى ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله تعالى .

وقد جمع الشيخ الإمـام اسـماعيل بن عبد الرحمن الصابوني نبذة حسنة في عقيـدة أهل السـنة والجماعة قـال فيها : ويجـانبون أهل البـدع والضـلالات ويعـادون أصـحاب الأهـواء والجهالات ويبغضون أهل البـدع الـذين أحـدثوا في الـــدين ما ليس منه ولا يحبـــونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويـرون صـون آذانهم عن سـماع أبـاطيلهم الـتي إذا مـرت بـالآذان ووقـرت في القلـوب ضـرت وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسـدة ــ إلى أن قـال ــ واتفقـوا مع ذلك على القـول بقهر أهل البـدع وإذلالهم واخـزائهم وإبعـادهم وإقصـــائهم والتباعد منهم ومن مصـــاحبتهم ومعاشـــرتهم والتقـــرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم اهـ .

وكلام الســـلف ومن بعـــدهم من أئمة الخلف في هجر أهل البـــدع ومن يميل إليهم كثير جـدا وفيما ذكرته ههنا كفاية إن شـاء الله تعالى ، ومع هذا فقد أبى أهل العقل المعيشي إلا أن يخالفوا ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فـــتراهم يبـــالغون في توقـــير أهل البـــدع

وتعظيمهم ويحرصـــــون على مؤاخـــــاتهم مصـاحبتهم ودعـوتهم إلى منـازلهم والـدخول عليهم في بيـــوتهم ومـــواكلتهم ومشـــاربتهم والأنس بهم والإنبســـاط معهم وتـــوليتهم في الأعمال من تعليم وغيره لا فرق عنـدهم بينهم وبين أهل السنة نعوذ بالله من الخذلان وعمى البصيرة .

وقد صار تقريب أهل البـدع وتـوليتهم في وظائف التعليم والوثوق بهم في ذلك سببا في إفســـاد عقائد كثـــير من المتعلمين وأخلاقهم فتراهم لا يبالون بترك المأمورات ولا بارتكـاب المنهيـــات فلا حـــول ولاقـــوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد روى الطـــــبراني وأبو نعيم وغيرهما بأسانيد فيها مقال عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه مرفوعا : (من وقر صـــــاحب بدعة فقد أعـــان على هـــدم الإســـلام) . وذكر ابن الجــــوزي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله وتقدم ذكره قريبا .

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري أنه قال لبعض أصحابه : إياك ومجالسة أهل الجفاء ولا تصـحب إلا مؤمنا وألا يأكل طعامك إلا تقي ولا تصــحب الفــاجر ولا تجالسه ولا تجــالس من يجالسه ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله ولا تحب من يحبه ولا تفش إليه ســرك ولا تبسـَّـم في وجهه ولا توسع له في مجلسك فإن فعلت شيئا من ذلك فقد قطعت عرى الإسلام .

والله المســــــئول أن يهــــــدينا وإخواننا المســلمين صــراطه المســتقيم ، وأن يجعلنا جميعا ممن يحب في الله ويبغض في الله ويــوالي في الله ويعــادي في الله ويهجر أهل البــدع والفســوق والعصــيان لله إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وهــذا آخر ما تيسر جمعه والحمد لله رب العــــالمين وصلى اللهم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسـان إلى يـوم الـدين وسلم تسليما كثيرا .

وقد كـان الفـراغ من تسـويد هـذه النبـذة في يـوم السـبت ثـالث عشر شـهر ربيع الأول

من سـنة 1383 هــ ثم كـان الفـراغ من كتابة هــذه النســخة في يــوم الخميس الخــامس والعشــرين من الشــهر المــذكور من الســنة المـــــذكورة على يد جامعها الفقــــير إلى الله تعالى حمود بن عبد الله التويجري غفر الله له ولوالديه .